مجلة شهرية

عدد: Issue No: 115

شهر آذار Macrh 2017

نـــــور يسوع المسيح المســـيـــح

Φ Ω Σ الله مالك XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

انتصار الإيمان الأرثوذكسي

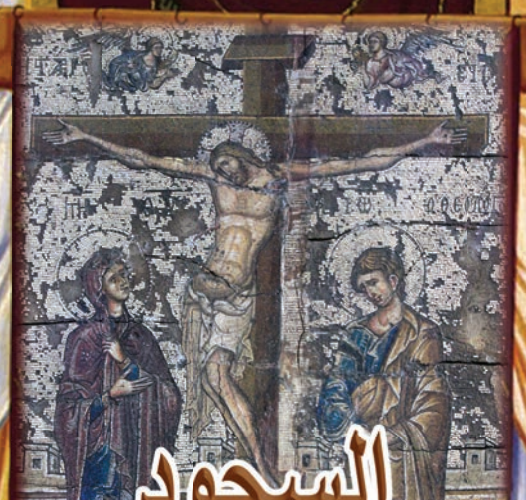

السجود للصليب الكريم المحيي

اليوم نهار السجود للصليب الكريم فهلموا نحوهُ كافةً لانهُ يقدّم الآن اشراق فجر قيامة المسيح فلنصافحهُ مبتهجين نفسانيًا

محتويات العدد

2	شفاءً للمرضَى.
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	النُسك في حياة الرهبنة القديس باسيليوس الكبير
5	سنكسار الأحد الأوّل
7	ما هي الأيقونة وتاريخها وانتصارها
9	سنكسار الأحد الثالث
10	جزنا بالنار والماء القديس پاييسيوس الآثوسي
11	عصا هارون
12	الصليب القديس يوحنا الذهبي الفم
17	سرّ الصليب القديس غريغوريوس النيصي
18	الشهداء الأربعون القديس باسيليوس الكبير
21	الله وحده ثابت القديس غريغوريوس اللاهوتي
22	القديس نكتاريوس العجائبي
23	الأرثوذكسيّة قانون إيمان ..
24	العظات الثماني عشرة للقديس كيرلّس الأورشليمي
24	العهد القديم ... (٩٨)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

شفاءً للمرضى

✝ كثرت الأمراض الجسدية والنفسية والروحية التي يعاني منها الإنسان في جيلنا، لاسيّما في ظلّ التلوُّث في الجوّ المحيط، واستخدام المبيدات والهرمونات في الزراعة الى جانب الضغوط الكثيرة التي يعاني منها إنسان اليوم، والمشكلات التي يواجهها في حياته، فنادرًا ما نجد بيتًا لا يعاني فيه أحدٌ من الامراض البسيطة أو الصعبة، ونرى ونسمع عن أُناسٍ في كامل صحتهم البدنية ونسمع عن انتقالهم المفاجئ الى الحياة الأخرى، فاصبح الكثيرون يعانون من المرض أو بسبب مرض أحبائهم. من أجل ذلك علينا أن نصلي بإيمان ونطلب في صلواتنا الكنسية والخاصة من أجل شفاء المرضى. فالكنيسة تصلي في كل قداس من أجل شفاء المرضى بكل موضع لينعم عليهم الرب الهنا بالشفاء والعافية والخلاص والنعمة ومغفرة الخطايا. وخاصةً في القدّاس الإلهي، إذ تُرفع صلوات وتضرعات من أجل شفاء المرضى والراحة للراقدين. كما وضعت الكنيسة سرّ مسحة المرضى لتصلي وتطلب من أجل شفاء هؤلاء المرضى من كل مرض لينعم الله عليهم بالشفاء والعافية، وتشترك في العمل مع السيد المسيح الرعوي في خدمة التعليم، والأفتقاد والتقديس «وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ » (مت٩:٣٥) وتُتِمّ الكنيسة دعوة الكتاب «أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ. وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرْ لَهُ.» (يع ٥:١٤-١٥).

✝ علينا أن نشكر الله في الصحة والمرض ونحافظ على أجسادنا وقوانا الجسدية والفكرية والروحية ونُنميها، ونبتعد عن كل ما يسيئ بأي شكل اليها كوزنات معطاةٍ لنا من الله. وإن سَمح الله لنا بالمرض فعلينا أن نصلي ونسعى للشفاء على أيدي أطباء أُمناء «اكرم الطبيب لأجل فوائده» (سير٣٨:١). وكما أن الخاطئ يحتاج الى التوبة فان المريض يحتاج للطبيب الماهر كقول الرب:«فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مر٢:١٧). وعلينا أن نثق في محبة الله لنا في الصحة والمرض ولا نشك في رعايته وعنايته بنا حتى إن سَمح بالمرض كدواء للتنقية، أو كهبة وإكليل به نقترب الى الله ونشترك بشكر في أحتمال الآلام «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا. لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ» (٢كو٤:١٦-١٨).حتى أن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي فاننا نثق أننا سنقوم باجساد نورانية روحانية ممجدة «لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ.» (٢كو٥:١)

✝ على الكنيسة والمحيطين بالمرضى، تقديم الاهتمام والمحبة والرعاية والخدمة والتشجيع لهم، كمن يخدم المسيح نفسه «فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ: يَارَبُّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟. وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟. وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟. فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ.» (مت ٢٥ :٣٧-٤٥). كما أن على المريض أن يشكر الله ويحيا حياة التسليم لله في كل حال ولا يتذمر، وينتقد الغير فيفقد بركة المرض. وعلينا أن نستثمر المرض في التوبة والصلاة والتداريب الروحية وقراءة سير القديسين الذين أحتملوا بشكرٍ **صليب المرض** والشهداء الذين تألموا من أجل الإيمان، ونعترف بضعفنا أمام الله بتواضع قلب ومسكنة، ونصطلح مع المتخاصمين معنا فنحيا في سلام مع الله والنفس والغير «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ.» (مت٦:١٤-١٥). وعلينا أن **نتناول بتوبة وانسحاق من الأسرار المقدسة** ونصلي ونطلب من أجل خلاصنا الأبدي. علينا أن نشكر الله متى سمح بالمرض ونصلي بإيمان من أجل الشفاء ونثق في يد الله الأمينة ووعده القائل «فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ» (خر١٥:٢٦).

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة مديح والدة الإله الذي لا يُجلس فيه

كُلُّ الأرضيّين فليبتهجوا بالرُّوحِ حاملينَ المصابيح، وطبيعةُ العقليّينَ غيرِ الهَيُوليّينَ فَلْتَحْتَفِلْ معًا. مُعَيِّدةً لعجائبِ أُمِّ الإله الشَّريفِ وهاتفة: إفرحي يا والدةَ الإلهِ النّقيّة الدّائمةَ البتوليّة والكُلِّيَّةَ الطُّوبى.

أيها الأخوة المحبوبون ،

أيها المسيحيون الأتقياء،

إنّ كنيستنا الأرثوذكسيّة المُقدسة تَدعونا عبرَ فَمِ **القديس يوحنا الدمشقي** لكي نحتفلَ « **بعجائب أمِّ الإله المقدسة**» أي بالأحداثِ العجائبية لأمّ الإله الكلمة العذراء مريم ، أم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

إنَّ أحداثَ والدةِ الإلهِ العجائِبيةَ هي من جهةٍ، **بشارةُ العذراءِ الطاهرة مريم** من **الملاكِ جبرائيلَ المُرسلِ من الله** والقائل للنقية : « إِفْرَحِي، أَيَّتُها الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً"، اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ.... وَهَا أَنْتِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ..» (لوقا١: ٢٦-٣١) ومن جهةٍ أخرى هي **تجسد الاله الكلمة وتأنسه بالروح القدس من دماء الطاهرة النقية العذراء مريم.**

إنّ هذا السرّ الذي لا يُدرك، أي سرّ التدبير الإلهي العظيم، تُكرمه وتوقرهُ كنيستنا المقدسة في شخص العذراء الطاهرة والمباركة والدة الإله مريم، وذلك عبرَ **خدمة المديح الذي لا يُجْلسُ فيهِ والذي يُرتل خلال أيام الصوم الأربعيني.** وهذا لأنّه من خلال والدة الإله تألّه جنس البشر كما يقول مرنم الكنيسة **القديس ثيوذوروس الستوديتي**:«إيَّاكِ نسبّحُ أيتها البتولُ النقية فخرَ جِنسنا ذاتَ كلِ فضيلةٍ لأننا بوساطَتكِ تأَلّهنا إذ ولدت المسيح الإله المُخلّص الذي حلّنا من اللعنة».

وربما يتساءل أحدٌ ما ، ما المقصود باللعنة؟

هي تلك التي سَحَقَها وحرّرنا منها **المسيح** ألا وهي **الخطيئة**، التي ارتكبها آدم القديم في الفردوس ، وهي التي أدخلت للعالم الفساد كما يؤكّدُ ذلك **القديس الحكيم بولس الرسول** في رسالتهِ إلى

رومية إذ يقول:« كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.»(رومية ٥: ١٢) . ولكن ابن العذراء مريم أي المسيح قد: « افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غلاطية ٣: ١٣) كما يعلّم القديس بولس الرسول.

ولأنَّ « اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ » (١تيم ٣: ١٦) وبكلامٍ آخر أي أنّ الإله الكلمة قد اتخذ جسدًا من العذراء مريم أمِّ إلهنا الذي ولدتهُ، وصار منها على صورتنا وهيئتنا،

لذلك فإنَّ العذراءَ مريمَ أصبحت مشاركةً في خلاصنا نحنُ البشر، لهذا فإنّ **مرنِّم الكنيسة** يهتف عبر رئيس الملائكة جبرائيل قائلًا:« إفرحي يامن بها أشرق السرور إفرحي يامن بها تضمحِلُ اللعنة، إفرحي لأنك صِرتِ سُدةً للملك، إفرحي لإنك تحملين الضابط الكل.»

حقًا أيها الإخوة الأحبة، إنّه من خلال العذراء مريم قد أشرق نور الفرح في العالم المسيح واضمحلت اللعنة كما يقول بولس الرسول: «لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً، وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ» (أفسس ٥: ٨)

إن والدة الإله العذراء مريم المباركة ، صارت إناءً لنعمة الروح القدس الذي ينير ويقدس كل انسان آتٍ إلى العالم.

لهذا فإنّ **القديس غريغوريوس بالاماس** يدعو والدة الإله بأنها : «هي التُخْم (أي الحد) بين غير المخلوق (الألوهة) والمخلوق ويكمِل القديس قائلًا: بأنه لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الله إلّا من خلالها ومن خلال الوسيط الذي ولد منها، ولا حتى من أي مواهب وعطايا الله يُعطى من خلال الملائكة أو البشر إلّا من خلالها هي فقط.»

لذلك فإن مرتل الكنيسة يهتف: «إفرحي لأنك وُجِدّت سدةً للملك ، افرحي يا سُلَّمًا سماويةً بها انحدر الاله، افرحي يا جسرًا ناقلًا الذين في الأرض إلى السماء».

ما هذا الجسر إلّا **العذراء مريم والدة الإله الفائقة القداسة** وهو ليس جسرًا عقليًا أو روحيًا ولكنه جسرٌ طبيعيٌ من جسد ونفس

وذهن. وهي أي العذراء، مشابهة تمامًا لنا نحن البشر (يع ٥:١٥) لهذا فإنّ والدة الإله هي حمايتنا وعليها ألْقينا كلَّ رجائنا.

لهذا فإن **كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة** ومن خلال **استنارة الآباء المتوشحين بالله باشراقات الروح القدس ومعلِّمي الكنيسة** قد صاغت لاهوتيًا وعقائديًا وتسبيحِيًّا، **للفائقة القداسة الممتلئة نعمة والدة الإله** قائلةً: «افرحي يا علوًّا يُعسر الصعود إليه بالأفكار البشرية.»

إن شخص الطاهرة العذراء والدة الإله، هي النموذج الحيّ لطاعة مشيئة الله الآب وابنها ربنا يسوع المسيح. والطاعة لمشيئة الله يعني الصوم والذي نعني بهِ إخضاع إرادتنا البشرية لإرادة الله. وأيضًا يعني التوبة والاعتراف بهفواتنا وخطايانا « وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًا.» (يو ٦:٣٧)

هوذا الآن أيها الأخوة الأحبة الآن زمان ووقت الصوم وزمان التوبة والاعتراف.هذا وقت مقبول. إن العذراء مريم والدة الإله هي الشفيعة والوسيط المثالية لنا عند ابنها وإلهنا كما يقول مرنم الكنيسة : «أيتها الصالحة, حامي عن كل الملتجئين بايمان, الى سترك العزيز.لأنه ليس لنا نحن الخطأة, المنحنين من كثرة السيّئات وسيط دائم عند الله في الشدائد والاحزان سواك يا أم الاله العليّ.»

لأجل ذلك نخثو لك ساجدين. فأنقذي عبيدك من كل شّدة وأهلينا أن نجوز ميدان الصيام المبارك، وأن نصل إلى قيامة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح المجيدة.آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

عن عدم الانشغال بالأرضيات

كيف نتحرّر من العالم:

✝ وأرانا الرب نفسه صورة عملية لنقتفي أثرها.

✝ «كَما أَنِّي حَفِظتُ وَصايا أَبي وأَثبُتُ في مَحَبَّتِه» (يو١٥:١٠).

✝ «إني لم أنزل من السماء، لأصنع مشيئتي، بل مشيئة من أرسلني» (يو٦:٣٨)

✝ وعلّمنا أن تكون مشيئتنا كمشيئته، وأن يكون عملنا مثل عمله، كمعلّمي صناعات هذا العالم.

✝ وكما أنّ الحداد، إذا ما أعطاه أحد آلةً وطلب منه أن يعمل مثلها، فإنّه إذا ما تذكّر المطلوب فإنه يعمله، أما إذا نسي ذلك، فإمّا: ألّا يعمل شيئًا، أو لا يعمل المطلوب.

✝ كذلك المسيحي، إذا ظلّ ذاكرًا الله ، فهو يعمل إرادته كما أمره، ويتمّم المكتوب: «إنّي سبقت أنظر الربّ أمامي في كل حين، لأنه عن يميني لكي لا أتزعزع» (مز ١٥:٨).

✝ «إذا ما أكلتم أو شربتم أو صنعتم شيئًا آخر، فكل شيء اصنعوه لمجد الله» (كو١٠:٣١).

نتذكّر أن الله يتطلّع علينا:

✝ «إنّي أملأ السماء والأرض ، قال الربّ» (إر ٢٣:٢٤).

✝ «أنا إله قريبٌ وليس بعيدًا».

✝ «حيث يكون آثنان – مجتمِعَيْن بآسمي – فأنا أكون هناك في وسطهما» (مت ١٨:٢٠).

غَرَضُنَا إرضاء الله لا الناس:

✝ وأنا أرى أن هذا الأمر يستقيم بكلمة واحدة، وهي ألّا نعمل وصايا الله لمرضاة الناس. فلا يجوز لنا أن نميل إلى النواقص، بل إلى الأفضل وهو نُصب أعيننا.

✝ والنفس المتيقظة والصحيحة، إذا ما تأكّدت أن الله ينظر إليها، وجعلت طلبها ما يرضيه، لا تكسل عن وصايا الرب، ولا تميل لوصايا الناس. ولا يُمسكها شيء من أعمال هذه الدنيا، ولا تطغيها كرامة (مجد) هذا الزمان، كالذي قال:« تكلّم معيَ المنافقون بكلام كثير، وليس مثل ناموسك يا رب» (مز ١١٨).

✝ «تكلّمت بشهاداتك قدّام الملوك ولم أخجل» (مز ١١٨).

الذي قهر كل الآلام إلّا واحدة فليس بعد صحيحًا مُعَافَى. والذي ساد على أهوائه وشهواته إلّا واحدة فهو بعد عبدٌ مَربوطٌ !

القديس باسيليوس الكبير

سنكسار
الأحد الأول من الصوم
الدعوة - الايقونة

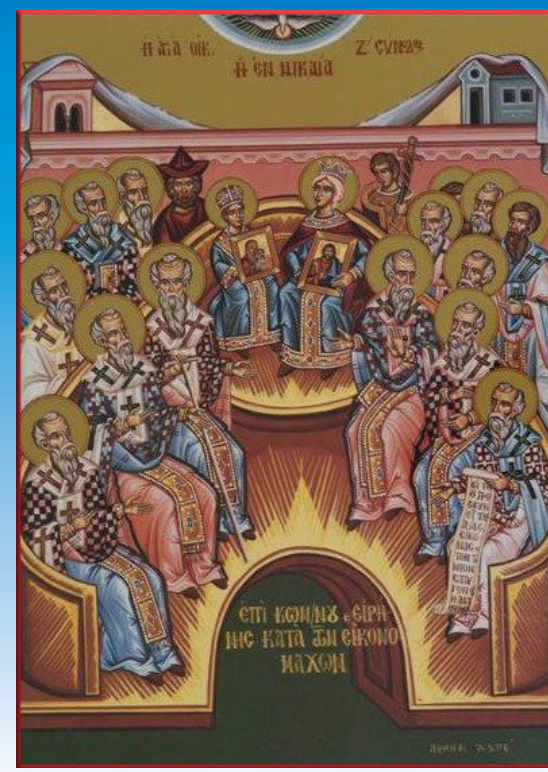

لمَّا تقلّد عصا الملك بسماح من الله **لاون الايصافري** بعد أن كان حمَّارًا عائشًا بصناعة اليدين فدعا حالًا **جرمانوس القديس** الذي كان إذ ذاك متقلّدًا سياسة الكنيسة وقال له: {**على ما أرى أيها السيّد أن الايقونات المقدسة لا تختلف بشيءٍ عن الأصنام، فأْمُر إذًا أن تُرفع حالًا من الوسط، وإن كانت هي بالحقيقة صُوَر القديسين إلَّا أنه مع ذلك يجب أن تُعلَّق عالية ومرتفعة في الكنائس لئلَّا بسبب توخُّلنا في الخطايا ندنسها دائمًا عندما نصافحها.**}

فأخذ البطريرك يصرف الملك ويُبعده عن هذا العمل السيّئ المتفاقم رداءة قائلًا له لا تفعل ذلك أيها الملك، إذ قد سمعنا أنه سيهوش حينًا ما على الايقونات المقدسة إنسان يُلقَّب **كونن** فأجاب الملك قائلًا: أنا لمَّا كنت طفلًا كنت أُدعى **كونن**. فإذ لم يقتنع البطريرك برأيه نفاهُ من أبرشيته وأقام عوضه **انسطاسيوس** المطابق لعزمه وآنئذٍ بدأت الحرب ضدَّ الايقونات المقدسة. فيُقال ان أوَّل مَن وسوس له بهذا العمل المنكر هم بعض من اليهود إذ سبقوا فأوعزوا له بسحرٍ ما، انه عتيد أن يرتقي إلى المُلْكِ بعد ان كان عائشًا معهم حمَّارًا عندما كان فقيرًا. فلمَّا انقضى أجله بنهاية ردية تولَّى الأمر بعده شبلُهُ الأشدُّ عنفًا منه وهو **قسطنطين الزبلي الاسم** بعد ان اصبح خليفةً له، أعلن الحرب على الايقونات المقدسة. فما لنا وإطالة الشرح عن كميّة وكيفيّة ما ارتكبه هذا العاصي من الأفعال السيئة. فلما قَضى نحبه وهذا أيضًا بصورة أشدَّ قبحًا من أبيه تولى بعده المُلك ابنه الذي من **خزارا** فمن بعد أن انتقل هذا انتقالًا شنيعًا خلفته **ايريني وقسطنطين**. فهؤلاء بإرشاد **البطريرك طاراسيوس الكليّ قدسهُ عُقِدَ المجمع السابع وحازت كنيسة المسيح ثانيًا على الايقونات المقدسة** فلما انتقل هٰذان وغادرا المُلك ارتقى إليه **نيكيفوروس** الذي كان ابوه وكيل الخزائن الملوكيَّة ثم ابنه **سطافراكيوس** ثم بعده **ميخائيل رانكافا** فكان جميعهم **يوقرون الايقونات الشريفة**. ثم **مَلَكَ ميخائيل لاون ارمينيوس الوحشي** الذي لمَّا انخدع وفَسَدَ من ناسكٍ وتحوَّل الى ملحد **أثار حرب الايقونات الثاني** فظهرت ثانيًا كنيسة الله فاقدةً الزينة. ثم **خلفه ميخائيل اموريوس** ثم **ثاوفيلوس ابن الهيّاج ضدَّ الايقونات** اللذان سبقا الآخرين جدًّا. **فثاوفيلوس هذا عذَّب كثيرين** من **الآباء القديسين** بعذابات وتنكيل جائر جدًا كأنه يحامي عن الايقونات المجيدة، وهذا أيضًا لأنه كان يدَّعي العدل بالأكثر حتى انه طلب مرةً إن كان أحد في المدينة يضايق الآخر فما وُجِدَ في مدَّة أيام كثيرة. فبعد أن أقام اثني عشر عامًا وقع في **مرض الذونسطارية** ودنا انقضاء اجله **فانشقَّ فمُه جدًا** حتى بانت أحشاؤه من داخله. **فثاوذوره افغوسطا** حزنت وتوجعت جدًا لهذا الحادث ولما اوَت مرة للنوم رأت في منامها **والدة الإله الطاهرة محتضنة الطفل الذي قبل الدهور محاطة من ملائكة إلهيَّة** وعاينت قرينها **ثاوفيلوس يُجلَد ويُثلَب** منهم. فلمَّا استيقظت من النوم وإذ **بثاوفيلوس** تنحَّى قليلًا وصرخ: **ويحي أنا الشقيّ لأنني من أجل الايقونات المقدسة أُجلَد**. فحالًا وضعت الملكة فوقه **ايقونة والدة الإله** وكانت تتوسَّل إليها بدموع، إلَّا أن **ثاوفيلوس** مع انه كان في تلك الحالة إذ نظر إنسانًا من الواقفين حوله حاملًا حجابًا مصوَّرًا عليه **المسيح** فأخذه منه بسرعة وصافحه فحينئذٍ ذاك الفم الزائر على الايقونات المقدسة والحلق المفتوح بِقِحَة وجسارة ارتدَّا حالًا إلى عادتهمَا الأولى وهدآ من الشدَّة والعنف المحيقَيْن بهما واستيقظ معترفًا انه جيّد ولائق ان تُكرَّم وتُوقَّر الايقونات المقدسة. فأخرجت حينئذٍ الملكة من صناديقها الايقونات الشريفة المقدسة وجعلت ثاوفيلوس أن يقبلها ويكرّمها من كل قلبه، ثم انه بعد قليل انتقل ثاوفيلوس فثاوذوره استدعت جميع المنفيين والمسجونين وأباحت لهم أن يعيشوا بحريّة واطمئنان، وخُلع من **السدّة البطريركية يوحنا الذي يليق به أن يُسمَّى يانيس ورئيس الشياطين والسحرة** بالأحرى من أن يدعى بطريركًا ورئيس الآباء. ثم ارتقى إليها **مثوديوس المعترف** بالمسيح بعد أن احتمل أشياء كثيرة وكان مسجونًا في قبرٍ بالحياة.

فلمَّا كانت الأمور على هذه الصورة اقتبل **يوانيكيوس العظيم الناسك** من جبال أوليمبوس زيارة إلهية لأن **ارصاكيوس الناسك العظيم** وافى إليه قائلًا: ان الله أرسلني إليك لكي نمضي نحو **اشعيا الرجل الكلي برَّه الناسك في نيكوميدية** ونتعلَّم منه جميع ما يرضى الله ويليق بكنيسته. فلمَّا توجَّهوا نحو **اشعيا الكلي برُّه** قال لهم هذه

الأقوال، يقولها الرب: لقد دنا انقضاء أعداء صورتي فانْطَلِقَا أنتما نحو **الملكة ثاوذوره** بل ونحو **البطريرك مثوديوس** وقولا له هكذا إعْزِلْ جميع الرجال المدنَّسين ثم قدِّم لي ذبيحة مع الملائكة مكرّمًا ايقونتي وصورة الصليب. فلمَّا سمِعَا ذلك أسْرَعَا حالًا إلى القسطنطينية وأخبرا بالمقولات **للبطريرك مثوديوس** وجميع مختاري الله فاجتمع أولئك، وانطلقوا نحو الملكة فوجدوها منقادة ومقتنعة بجميع ذلك لأنها كانت عن آبائها حسنة العبادة وَمُحِبَّةً لله. فحالًا أخرجت الملكة **ايقونة والدة الإله** التي كانت مُعَلَّقَةً إيّاها بِعُنُقِهَا وقبَّلتها بحضور الجميع قائلة: **كل مَن لا يسجد لهذه الايقونات، ولا يصافحها ليس مصافحة عبادة، بل بالنظر إلى أصلها ولا يكرّمها ليس كآلهة بل كصُوَر عناصرها شوقًا لها فليكن ملعونًا**. أمَّا هم ففرحوا فرحًا عظيمًا. ثم طلبت منهم هي أيضًا أن يصنعوا طلبة من أجل **ثاوفيلوس** رجُلِها. فلمَّا نظروا أمانتها مع انهم كانوا قبلًا يعتفون من ذلك انقادوا أخيرًا وانثنوا إلى مرغوبها. فَجَمَعَ **القديس مثوديوس** جميع الشعب والاكليروس ورؤساء الكهنة من كنيسة الله العظمى وانضَوى معهم، وتواجد أيضًا هؤلاء المختارون الذين من أوليمبوس وهم: **يوانيكيوس العظيم وارصاكيوس ونافكراتيوس وتلاميذ ثاوذوروس السطوذيتي وثاوفانيس رئيس الحقل العظيم وثاودوروس الكاتبون والمعترفون وميخائيل الذي من المدينة المقدسة وسينكالوس وكثيرون غيرهم** وقدَّموا طلبة في جميع آناء الليل نحو الله مصلين جميعهم بعبرات وطلبات حارَّة وذلك حصل في جميع **السبَّة الأولى من الصيام** وكانت الملكة تصنع ذلك أيضًا مع النساء وكذلك بقية الشعب.

ثم انه اثناء ذلك بينما كانت الملكة نائمة في وقت طلوع الفجر نهار الجمعة رأت ذاتها واقفة عند عمود الصليب وان بعضًا كانوا يتردَّدون مارّين من الطريق بضجيج عظيم حاملين آلات عذابات متنوّعة، وإذ **ثاوفيلوس** يُساق منهم مغلولًا ومربوط اليدين إلى خلف، فلمَّا عرفته تبعت الذين كانُوا يسوقونه، ولما وصلوا إلى الباب النحاسي رأت رجلًا بهيّ المنظر جالسًا أمام ايقونة المسيح وأمامه نُصب ثاوفيلوس. فانكبَّت الملكة على أقدامه وكانت تتوسَّل إليه عن أجل **ثاوفيلوس الملك**. وأمَّا هو ففتح فاهُ قائلًا: عظيمٌ هو إيمانكِ أيتها المرأة، فاعلمي انني لأجل دموعكِ وإيمانك، ثم ولتوسُّل عبيدي وكهنتي قد أجود بالغفران والمسامحة **لثاوفيلوس** رجلك. ثم قال للذين يقتادونه: حُلُّوه وسلِّموه إلى امرأته. وأمّا هي فأخذته ورجعت فَرِحَةً مسرورةً وحالًا أفاقت من نومها فهذا ما رأته الملكة ثاوذوره. وأما **البطريرك مثوديوس** فبعد إتمام الصلوات والابتهالات من أجله أخذ ورقة بيضاء وكتب فيها أسماء جميع الملوك الأراتقة، وفي جملتهم اسم **ثاوفيلوس** ووضعها تحت المائدة المقدسة، ففي نهار الجمعة رأى هو أيضًا **ملاكًا رهيبًا** داخلًا إلى الهيكل العظيم ولمَّا اقترب منه يقال انه خاطبه هكذا: لقد سُمِعَتْ طلبتك أيها الأسقف وحظي الملك ثاوفيلوس على الغفران فلا تَعُدْ تطلب أيضًا من أجله. فلكي يختبر صدق ما رآه توجَّه وأخذ الورقة، فيا لعمق أحكام الله، فلما فتحها وَجَدَ أنَّ الله قد محا اسم ثاوفيلوس منها بالكليّة. فلمَّا علمت الملكة بذلك ابتهجت جدًا وأرسلت تطلب من البطريرك أن يجمع جميع الشعب مع الصلبان المكرَّمة والايقونات المقدسة في الكنيسة العظمى، لكي يُعطى لها جمال الايقونات المقدسة وَتُعَلِمَ عند الجميع هذه المعجزة الغريبة. فلمَّا التأم الجميع تقريبًا في الكنيسة بالشموع حضرت الملكة مع ابنها **وصار زياح بالايقونات المقدسة والصلبان الإلهيّة الموقرة والإنجيل الشريف الإلهي**. وخرجوا من هناك حتى إلى المكان المدعو **ميليون** صارخين: **يا رب ارحم**، ثم رجعوا إلى الكنيسة وأكملوا القداس الإلهي **وعُلقت الايقونات المقدسة الموقَّرة** من الرجال القديسين المذكورين منادين بالحسني العبادة والمستقيمي الرأي، ومفرزين ولاعنين الأضداد الملحدين والذين لا يقبلون اكرام الايقونات المقدسة. **ومن ذلك الوقت حدَّد هؤلاء القديسون المعترفون أن يصير هذا الموسم الشريف سنويًّا لئلَّا نسقط ثانيًا في هذه الهرطقة عينها.**

طريق الله

للقديس أثناسيوس الكبير

إن طريق الحق يقودنا إلى الله الموجود حقًا، وحتى نعرف هذا الطريق ونتَّبعه، لا نحتاج إلى أي شيء سوى معرفة نفوسنا، وإنْ كان الله تعالى هو فوق الكل. مع ذلك فالطريق الذي يقودنا إليه ليس صعبًا ولا بعيدًا ولا خارجًا عنا، ولكنه فينا وفي داخلنا. فيمكننا أن نجد في ذاتنا نقطة الانطلاق إليه، كما قال موسى النبي: «إنَّ كلمة الإيمان هي في قلبك» (تثنية ٣٠: ١٤).

وقال السيد، الرب يسوع المسيح: «ملكوت الله داخلكم» (يوحنا ١٧: ٢١). وما دام فينا الإيمان وفي قلبنا ملكوت الله، نستطيع بكل سهولة أن نشاهد ونتأمل ربَّ الكون كلمة الآب مخلِّصنا يسوع المسيح.

ليس الوثنيون في حاجة إلى حجج لإثبات هذه الحقيقة ولا ينبغي لأحدٍ أن يَضِلَّ ويدافع عن ضلاله كما لو كان لا يعرف هذا الطريق. كلُّنا في الطريق، ولكن كثيرين منَّا لا يُريدون أن يسيروا فيه، فهم يبتغون الابتعاد عنه للبحث عن ملذَّات الدنيا الفانية.

وإذا قال سائل: وما هو هذا الطريق؟

أجيبُه قائلًا: إنها نفسنا والروح الموجود فيها. والروح وحده هو الذي يستطيع أن يشاهد الله ويكوّن لذاته فكرةً عنه عزَّ وجَلّ.

ما هي الايقونة؟

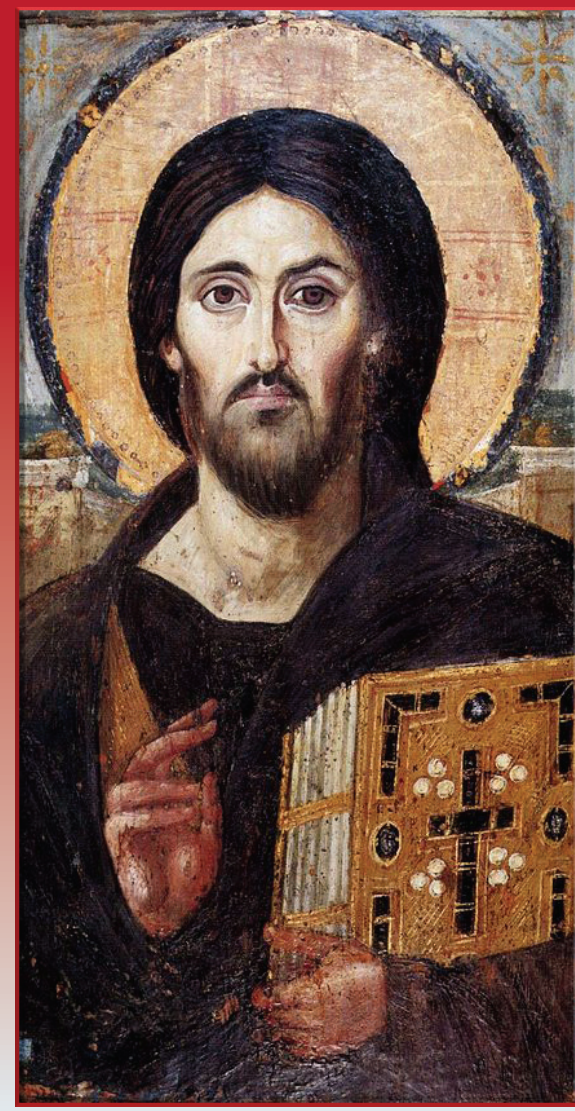

الايقونة هي صورة تُمثّل شخصًا مقدسًا تبرز فيه نفسيته وهي مبنيّة على ثوابت تقرّها الكنيسة لا على مشاعر الفنان الشخصية، ولا تُعد الصورة ايقونة ما لم تُرسم على الخشب والغاية منها كما يقول القديس باسيليوس: «أن تجذب الأنظار وتجعل الحقيقة التي تمثّلها أحبّ إلى عقولنا وأعمق وأسرع وأبقى تأثيرًا في نفوسنا» والغاية الأخرى هي أن تعلّمنا بعض الحقائق التاريخية واللاهوتية.

أسباب محاربة الايقونات:

إن الأسباب التي حملت بعض الناس على محاربة الايقونات هي عديدة ومتضاربة. نذكر منها أولًا أن اليهود كانوا يُحرّمون ليس تصوير الله فقط، بل أي مشهد آخر من الكتاب المقدّس، وذلك حفاظًا على الوصية القائلة: «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلهٌ غَيُورٌ» (خروج ٢٠: ٤). وكذلك الاسلام ينبذ الصوَر والتماثيل الدينية. **فالخليفة يزيد الأموي** أمر سنة ٧٢٣ بانتزاع الصوَر من جميع الكنائس التي تحت سلطته. وقد قام تيار مسيحي قبل الاسلام يحذّر من التصوير الديني خوفًا من الانزلاق في الوثنية. وآشْتَدَّ هٰذا التيار عندما تصعّدت الانتقادات اليهودية والاسلامية ضد مكرّمي الايقونات.

وهناك عوامل سياسية واجتماعية ولعلّها الأهم، إذ كان الشبان في الدولة البيزنطية يفرّون من الخدمة العسكرية لينخرطوا في سلك الرهبانية حيث ينصرفون إلى صنع الايقونات باتقان ومهارة ويجنون منها أرباحًا طائلة. فازدادت ثرواتهم وقوي نفوذهم وهيمنوا على مرافق التعليم والتوجيه والثقافة.

الأزمة في مرحلتيها:

مرّت أزمة الايقونات في مرحلتين قاسيتين. المرحلة الأولى تمتد من سنة ٧٢٦ إلى سنة ٧٨٧ تاريخ عقد المجمع المسكوني السابع النيقاوي الثاني وعقبها ٢٧ سنة مهادنة وسلام. والمرحلة الثانية من ٨١٣ حتى ٨٤٣ تاريخ **انتصار الرأي المستقيم** على **مناوئي الايقونات**.

المرحلة الأولى:

تسلَّمَ **لاون الثالث الايصوري** (٧١٧- ٧٤٠) مقاليد الحكم من سلَفه تيودورس الثالث بمساعدة **العرب واليهود**، فأصبح مدينًا لهم وصديقًا، فضلًا عن أنه من مواليد ايصوريا (مرعش) الواقعة شمالي سوريا. فنشأ متأثرًا **بالمفاهيم الاسلامية** النازعة إلى تنزيه الله عن كل ما هو مادّي. ورأى المسيحيين يغالون في تكريم الايقونات، مما حمله على إعلان الحرب عليها: **"لأنها صمّاء ولا حياة فيها"** وأصدر مرسومًا سنة ٧٢٦ يأمر برفع الصوَر عاليًا لإبعادها عن متناول أيدي المؤمنين. وأعقبه بمرسوم آخر يقضي بإتلافها. وعبثًا حاول أن ينتزع تأييد جرمانوس بطريرك القسطنطينية فلم يفلح. وآثر البطريرك أن يستقيل من منصبه على أن يتنكّر لعقيدته. وتفجّر الوضع عندما صعد أحد الضباط ليُنزِل إيقونة السيّد المسيح من أعلى مدخل القصر الملكي. فتصدّى له أحدهم وأسقطه أرضًا الأمر الذي تسبّب في موته. عندئذٍ استشاط الملك غيظًا وأمر بإتلاف جميع صوَر القديسين وذخائرهم أينما وُجِدَت. فجمع في خزائنه ما كان يشتهيه من صفائح الذهب والحجارة الكريمة التي كانت ترصّع الايقونات. وشنَّ حملة شعواء على مؤيدي الايقونات فقتل منهم المئات ولم يتورَّع عن قتل البطريرك جرمانوس نفسه.

وقد بلغ الاضطهاد ذروته في عهد الملك **قسطنطين الخامس** (٧٤١- ٧٧٥) **ابن لاون الثالث (لقّبه أخصامه "بالزبلي" لأنه أفرز في جرن العماد)**، ولسوء الحظ جاراه في ضلاله هذه المرة البطاركة الثلاثة الذين تعاقبوا في عهده على كرسي القسطنطينية.

مؤتمر هييرية:

وعقد الملك مؤتمرًا كنسيًا في مدينة هييرية. سنة ٧٥٤ اشترك فيه حوالي ٣٣٨ أسقفًا برئاسة تيودوسيوس أسقف أفسس (لأن كرسي القسطنطينية كان شاغرًا) وأكره الأساقفة على إنزال الحرم بجميع

الذين يكرمون الايقونات لأنها، في زعم المؤتمرين، تمثّل جسد المسيح مفصولًا عن لاهوته. وحرموا خاصة **يوحنا الدمشقي** إذ رأوا فيه خصمًا عنيدًا ولاهوتيًا حجيجًا لا تقرع له حجة. وشنّوا حملة اضطهاد على الرهبان ومؤيديهم لأنهم من أشد المدافعين عن الايقونات. ففتكوا بالكثيرين منهم وأماتوهم بعد أن ساموهم أشد العذابات. وفي عِداد الشهداء الراهب الناسك القديس اسطفانوس الصغير.

المجمع المسكوني السابع النيقاوي الثاني ٧٨٧ :

تولّت الحكم الملكة ايرينه (٧٨٠– ٨٠٢) أرملة لاون الرابع، نيابة عن ابنها القاصر قسطنطين السادس الذي لم يكن قد بلغ العاشرة. وكانت الملكة من محبّي الايقونات فآلت على نفسها أن تحلّ المشكلة وتعيد السلام، ولاقت في شخص البطريرك القسطنطيني تراسيوس نصيرًا آخر يريد إعادة الكرامة إلى الايقونات. فدعت إلى عقد مجمع مسكوني سنة ٧٨٦ حضره نحو ٣٥٠ أسقفًا وعدد كبير من الرهبان. التأمت الجلسة الأولى في القسطنطينية ولكن، منعًا للاضطرابات التي ما زال يحركها المناوئون، انتقل الآباء إلى نيقيا في أيار ٧٨٧ حيث عَقَدَ المجمع ثماني جلسات في خلال شهر واحد. وفي الجلسة الثالثة دخل الأساقفة المبتدعون فأقرّوا بخطئهم وأعلنوا توبتهم. وفي الجلسة الرابعة اعترف الآباء الحاضرون بشفاعة والدة الإله والرسل وجميع القديسين، وأقرّوا بشرعية اكرام الايقونات وتقبيلها. وألغوا قرارات مؤتمر هييرية. وفي الجلسة السابعة وضعوا صيغة اعتراف بالايمان جاء فيه: «ليس فقط علامة الصليب ولكن أيضًا الصوَر التي تمثل سيدنا يسوع المسيح والعذراء النقيّة والملائكة القديسين سواء أكانت صوَرًا ملوّنة أم منقوشة في الحجر أو بأي نوع آخر، يجب أن توضع في الكنائس وفي البيوت وعلى الطرقات. فإننا ما دمنا نشاهد هذه الصوَر نتذكر من تمثّلهم. ونشعر بالميل إلى الاقتداء بهم ونكرمهم الاكرام المستحق لهم لا بالعبادة الحقيقية التي لا تليق إلّا بالله».

وأوجبوا التعويض على الأديار والأوقاف المتضرّرة. واشترعوا ٢٢ قانونًا لإعادة النظام إلى الكنيسة بعد التغييرات التي استحدثت في عهد المشاغبين. ووقّعَ صيغة الاعتراف الملكة وابنها كما وقّعها لفيف الأساقفة.

بيد أن **شارلمان رفض الاعتراف بأعمال المجمع لانه لم يُدعَ للاشتراك فيه.**

المرحلة الثانية (٨١٣– ٨٤٢):

ما إن شبَّ قسطنطين حتى توترت العلاقات بينه وبين والدته صاحبة الوصاية عليه، فأبعدته عن الحكم. ثم تآمر عليها رجال البلاط فعملوا على تنحيتها. **ضمن هذه الظروف الصعبة التي تعصف بالكنيسة، قام بابا روما بتتويج شارلمان إمبراطورًا على الغرب. ؟!**

ملحوظة هامّة: {إنَّ أوّل امبراطور من أباطرة الامبراطورية الرومانية الغربيّة هو **أغسطس قيصر** (٦٣ ق.م. – ١٤م) وخَلفه بالحكم **طيباريوس قيصر** وبعده **كاليغولا** وهكذا لغاية الإمبراطور رقم ٣٧ في قائمة أباطرة الرومان وهو **الإمبراطور ليكينيوس** (٣١٣ – ٣٢٣م). وهكذا **انتهى عصر أباطرة الرومان في الغرب**. بعدها نَقل الحكم إلى **الإمبراطورية الشرقيّة الإمبراطور قسطنطين الكبير** الذي وَحّد الإمبراطوريّة الرومية، وبنى مدينة المدائن التي تحمل اسمه ألَا وهي مدينة القسطنطينيّة التي تُدعى روما الجديدة.}

أما الأباطرة الشرقيون الذين تعاقبوا على العرش فكانوا حيال الأزمة إمَّا حياديّين وإمَّا مؤيدين للبدعة أو مناوئين لها. **فلاون الخامس** (٨١٣– ٨٢٠) كان من أنصار البدعة. فقاومه البطريرك القسطنطيني والرهبان مما يدلّ بوضوح على أن المعركة اتخذت طابعًا من الصراع الحاد بين الكنيسة والدولة، كان الهدف منها إخضاع الكنيسة لسطوة الدولة ولمصالحها.

وفي سنة ٨١٥ تجاسر **الملك** على تنحية **البطريرك** من منصبه وَنَفْيِهِ إلى ضفاف البوسفور. فما كان من الرهبان وعلى رأسهم القديس تيودورس رئيس رهبان الاستوديين، إلَّا أن نزلوا إلى شوارع المدينة بتطواف مهيب ضمَّ نحوًا من ألف راهب. وكان ذلك يوم أحد الشعانين. فردَّ عليهم الملك بقسوة بربرية واندلعت نار الاضطهاد من جديد. وعقد الملك مؤتمرًا ضمَّ عددًا من الأساقفة في **كنيسة آجيا صوفيا** نبذوا فيه مقررات **مجمع نيقيا المسكوني السابع** وثبّتوا قرارات **مؤتمر هييرية**.

ومن ردود **تيودورس** على **الملك** قوله المأثور: «لا تعكر صفاء الكنيسة فالرسول قال: وهو الذي أعطى بعضًا أن يكونوا رسُلًا وبعضًا أنبياء وبعضًا مبشّرين وبعضًا رعاة ومعلمين، منظِّمًا هكذا القديسين لأجل عمل الخدمة في سبيل بنيان جسد المسيح. ولكنه لم يذكر الأباطرة. وقد سلَّمك الله تعالى مقاليد الدولة والجيش فاعتنِ بهما ودَع الكنيسة لرعاتها ومعلميها. وإن لم ترضَ فلا نصغي إلى قولك ولو بلَّغنا إياه ملاك من السماء».

بهذا الكلام نفهم أن **تيودورس** كان يدرك مدى خطر تدخل الأباطرة في شؤون الكنيسة ويطالب باستقلالها عن الدولة.

حسم النزاع سنة ٨٤٢:

وبقيت الحال تتأرجح بين الاستقرار والغليان إلى أن قيّض الله لتسيير الدولة امرأة ثانية تولّت الحكم هي **تيودورا أرملة الملك ثيوفيلس** (٨٤٢– ٨٥٧) نيابة عن ابنها القاصر ميخائيل الثالث: فعقدت مجمعًا في القسطنطينية رئِسَهُ **البطريرك القديس متوديوس** في ١١ آذار ٨٤٢ ثبّت فيه قرارات المجمع النيقاوي ورشق بالحرم مناهضي الايقونات. وانتهى الاجتماع بتطواف حافل مشت في مقدمة الموكب الملكة وابنها ورجال البلاط وسط معالم الزينة والبهجة، باتجاه **كنيسة آجيا صوفيا**، حيث احتفل بالقداس الالهي وتقبيل الايقونات وطلب المغفرة، وَعُيِّنَ **الأحد الأول من الصوم «أحد الأرثوذكسيّة – عيد العقيدة القويمة –»**. ومنذئذٍ يتحاشى البيزنطيون تمثيل الله الآب لأنه غير منظور كما يتحاشون صنع التماثيل. وهذا الانتصار نرى أثره حتى اليوم في التشديد على رفع

صوَر السيد المسيح وبعض القديسين على واجهة الايكونوستاز في الكنائس البيزنطية.

خلاصة: لا شكَّ ان هذا الصراع أساء إلى التراث الفني غاية الاساءة إذ قضى على روائع الفن التصويري حتى ذلك الحين وذهب ضحيته آلاف المؤمنين الأبرياء، ولكن لم يكن بدون جدوى إذ انه ساعد الكنيسة على التعمّق في اللاهوت وتوضيح العقيدة والتقاليد. فقد أدركت أن الايقونة هي اقرار بالتجسد الالهي وإظهار لإنسانية السيد المسيح المؤلّهة كما انها تمثيل لجسد الإنسان المنوّر بالنعمة الإلهية. أما تحريم الصوَر والايقونات في العهد القديم فقد كان مَرَدُّهُ إلى أن الله غير منظور ورسم اللامنظور هو بدعة وضلال. أما وقد تجسد الله وصار بشرًا فلم يعد للوصية من مبرر. لأن الله نفسه تنازل وقدّم لنا صورته، والايقونة أصبحت مظهرًا خاصًا من مظاهر الحضرة الالهية. فهلَّا نكرّمها؟

قال **القديس يوحنا الدمشقي**: «ان الصوَر لمن لا يعرفون القراءة كالكتاب لمن يحسنون المطالعة. وما يحدثه الكلام في السمع تحدثه الصورة في البصر. فالصوَر المقدسة إنما هي مذكرة للأسرار الالهية ولأعمال القديسين».

عن الرعية الجديدة: كانون الثاني، ١٩٨٥، عدد ١٧٤

سنكسار الأحد الثالث من الصوم نعيِّد فيه للسجود للصليب الكريم

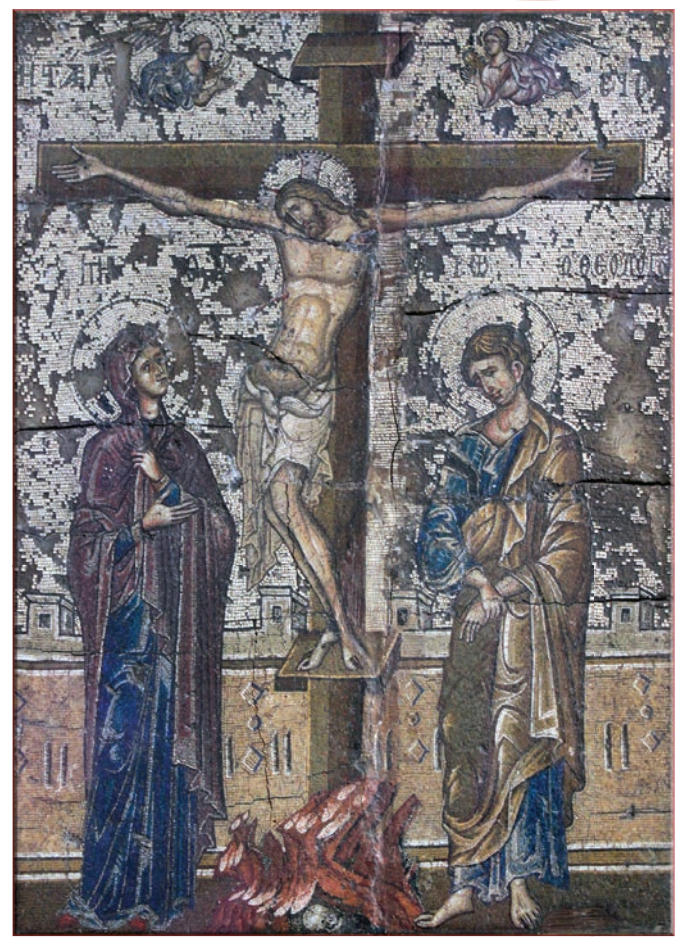

بحيث اننا بواسطة الصيام الأربعيني نحصل ونحن أيضًا كمصلوبين بأماتتنا عن الآلام ونشعر بمرارة متضجرين ومتراخين فلذا يُقدَّم **الصليب الكريم المحيي** مريحًا ومقوّيًا إيّانا ليذكّرنا **بآلام ربنا يسوع المسيح** ويعزّينا ويشجّعنا بأنه إن كان إلهنا صُلِب من أجلنا فكم يجب علينا أن نحتمل ونصنع نحن لأجله. ويخفّف أتعابنا بإظهاره لنا الأوجاع والأحزان السيدية، وتذكار وأمَل المجد الناتج بواسطة الصليب، بحيث كما أن مخلصنا بصعوده على الصليب مُجِّد بالانقياد المُهين والتمرمر كذلك نحن يجب علينا أن نفعل لكي نتمجّد معه أيضًا، وإن كان يحدث مرةً أن يصيبنا أمر فنكرهُهُ. وأيضًا كما ان الذين يسعون في طريق شاسعة وَعِرة عندما يعييهم السير يجلسون قليلًا حيث يجدون شجرة حسنة الظلّ، ويستريحون وبعدما يتقوّون جيدًا يجوزون بقية الطريق. هكذا والآن في زمان الصيام الذي هو كطريق شاسعة متعبة قد زُرع في الوسط من **الآباء القديسين الصليب الحامل الحياة** مانحًا إيّانا راحةً وَمُنَشِّطًا ومخفِّفًا الذين قد كَلّوا وأعيوا من انجاز بقية سعيهم المتعب. أو كما انه عند حضور أحد الملوك تتقدم علامته وصولجانه ثم يحضر هو فَرِحًا ومبتهجًا بالظفر وتفرح معه الرعيّة على هذه الصورة؛ **وربنا يسوع المسيح** بما انه عتيد بعد قليل أن ينشر عَلَم ظفرهِ على الموت، ويحضُر بمجدٍ في **يوم القيامة**، قدَّم صولجانه وعَلَمهُ الملوكي أعني **الصليب الكريم** ليملأنا بهجة وراحة عظيمة ويجعلنا مستعدّين لاقتبال هذا الملك بعد مدَّة يسيرة، ولمديحه والاثناء عليه لأجل ظفره على أعدائه. وقد حصل في السبَّة الوسطى من الأربعين المقدسة، لأن الأربعين المقدسة تشبه عين مرَّان لأجل الانسحاق ولأجل ما يحصل لنا من التمرمر والملل من تلقاء الصيام. فكما أنّ في وسط عين مرَّان المرّة الطعم، ألقى موسى الإلهي ذاك العود وجعل المياه حلوة وعذبة، كذلك والإله الذي أجازنا البحر الأحمر العقلي ونجّانا من فرعون قد يحلّي **بعود الصليب الكريم المحيي** المرارة الناتجة من الأربعين المقدسة بواسطة الصيام، ويعزّينا ويشجّعنا كجائزين في قفرٍ إلى أن يبلغنا إلى أورشليم العقليَّة بواسطة **قيامته**. أو بحيث أن **الصليب** يُقال له **عود الحياة** كما وهو أيضًا بالحقيقة وذاك العود وُجدَ مغروسًا في وسط فردوس عدن. فلذلك بغاية اللياقة نصب آباؤنا الإلهيون **عود الصليب** في الأربعين المقدسة ليذكرونا **بعصيان آدم** ثم مع ذلك أيضًا ليوضحوا نقض وإبطال ذاك العود «وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا» (تك ٣:٣). بواسطة هذا (عود الصليب من خلال بالمناولة المقدّسة حيث افتدانا المسيح بموته الطوعيّ)، لأننا إذا ذقنا من هذا لا نموت أصلًا بل نحيا على الدوام.

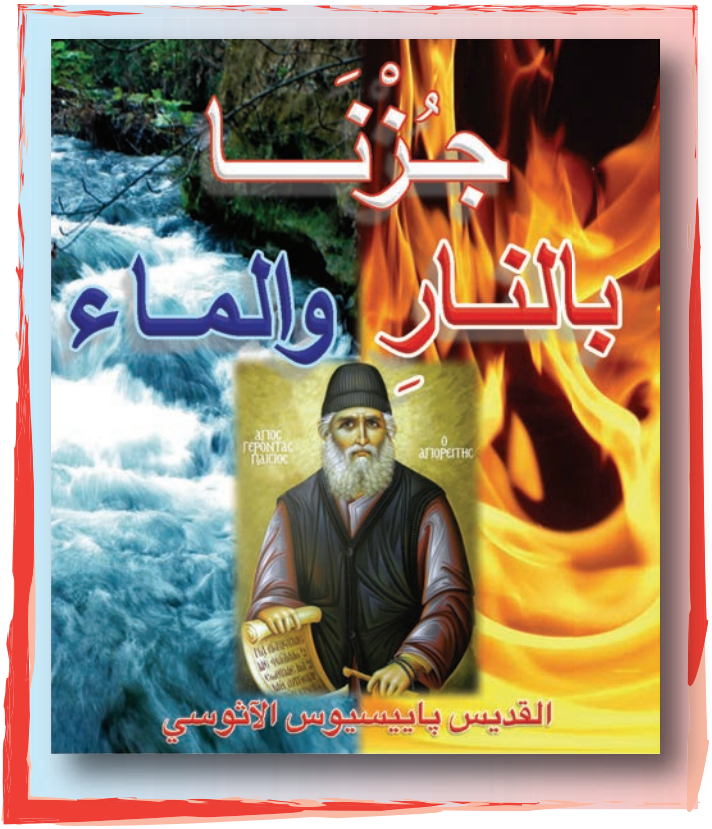

✝ خدمة المرضَى ✝

✝ يارواندا، عندما نهتم بشخصٍ مريضٍ، هَل يتسرَّب إلينا المَلل فقَط، أم الحزن أيضًا لرُؤيتنا شخصًا محبوبًا يذوي أمامنا؟.

✝ نعم ، لكنَّ الله يُدَبر كُل شيء. عندما يمرض أحدُ أفراد العائلة، تتأثر الأُسْرَةُ بأكملها وتشعر بألمه. وإذا كان الأبُ هو المريضُ ولم يعَد بوسعه العمل، فالجميع سيتألّمون ويُعانون من سوءِ الحظّ قائلين: «هل سيعيش والدنا أم يموت ؟». إنّه يتعذَّب، وكل العائلة ستتعذَّب وتذوي أيضًا. عندها يتوجَّب على الأم أن تزيد عملها، وتهتم بأولادها، وتذهب إلى المستشفى للاعتناء بزوجها المريض. عندما يُصاب أحدهم بمرضٍ خطيرٍ، فسيعاني ويتألّم، وقد يطلب أحيانًا الموت، لكنّ أفراد أسرته الذين يعتنون به سيقلقون عليه، ويقاسون، ويتعبون. وكلّما كانت العائلة أقربَ إلى بعضها وأكثر محبّة، فسيسمح اللهُ، في النهاية، أن يتألّم الشخصُ المريض والّذين يخدمونه أكثر، وأن يتعذّبوا أكثر، حتَّى يبلغوا درجة القولِ، «فليأخذه الله لكي يرتاح»، ولكي يرتاحوا هُمْ أيضًا.

عندما تكون العائلة متّحدة برباط المحبّة، ويموت الوالدان فجأة، دون مرَضٍ وأَلمٍ، ولا يضطرُ الأولادُ للاعتناءِ بوالِدَيهم، يصير ألم الفُراق أكثرَ إيلامًا لَهم.

✝ يارواندا، كيف تؤثّر العواطف على الصحة الجسديّة؟.

✝ عندما لا يكونُ الانسانُ حزينًا، يشعر بألمٍ أقل. وبالعكس، فإنّ الحالة الفكرية غير الصحيّة تؤثّر على صحة الجسدِ. مثلًا: أعلن الأطباءُ أنَّ حالة أحدِ مرضَى السرطان ميؤوسٌ منها. فإذا كان مؤمنًا بالله وموجودًا في بيئة روحيّةٍ مُبهِجَةٍ ، فقَد يعيشُ لوقتٍ أطوَل. أمَّا في ظروف مختلفةٍ، فقد يذوي من القلق واليأس خلال بضعة أسابيع. في بعض الأحيان، قَد يُشفَى المريض من وجهة النظر الطبيّة، ولا تشير فحوصه إلى أي شيءٍ خطيرٍ، لكن إذا كان هناك أمرٌ يُزعجه، فقد لا يكونُ مُعافَى. لأنَّ معظم الأمراض تبدأ بسببِ وجود قلقٍ ما. توجد عند كُلِّ الناسِ نقطةُ ضعفٍ حسّاسة، لهذا قد يضرب الحزن أحدهم في معدته، والآخر في رأسه.

أفضَل دواءٍ للمريض هو الفرح الروحيّ، لأنّه يَغمرُ النفس بالنعمة الإلهيّة، وهو ذو قُدرة شفائيّةٍ عظيمةٍ. فالفرح الروحيّ هو الذي يَشفي الجروح، بينما القلق والحزن يُهيجانها.

صباءوت

كلمة عبرية في صيغة الجمع، تعني "الجنود"، "فرب الصباءوت" (إش ٦: ٣، إش ٤٧: ٤إلخ) يعني "رب الجنود" . وترد هذه العبارة ٢٤ مرة في سفري صموئيل الأول والثاني، ونحو ٢٥٠ مرة في الأسفار النبوية، وتشمل هذه العبارة الخليقة كلها بما فيها من ملائكة وأجرام سماوية (انظر تك ٢: ١، إش ٤٠: ٢٦). كما تطلق على "أجناد" بني إسرائيل" (خر ١٢: ٤١، عدد ١: ٣ و ٥٢) وتستخدم نفس العبارة كما هي في العبرية في العهد الجديد (رو ٩: ٢٩، يع ٥: ٤).

رئيس المجمع:

رئيس المجمع هو الشخص المنتخب ليتولى مسؤولية الترتيبات الإدارية والمادية فى خدمات المجمع. وقد ذكر عدد من هؤلاء الأشخاص فى العهد الجديد، منهم يايرس والد الصبية ذات الأثنى عشر ربيعًا التى أقامها يسوع من الموت (مرقس ٥: ٢٢– ٤٣، مت ٩: ١٨– ٢٦، لو ٨: ٤٠ – ٥٦). وآخر لا يذكر اسمه اغتاظ لأن يسوع أبرأ امرأة كان بها روح ضعف لمدة ثمانى عشرة سنة ، فى يوم سبت (لو ١٣: ١٠–١٧)، ورؤساء المجمع فى بسيدية الذين أرسلوا إلى بولس وبرنابا طالبين منهما: «إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا» (أع ١٤:١٥)، وكريسبس رئيس المجمع فى كورنثوس الذى آمن بالرب يسوع مع جميع بيته بواسطة كرازة الرسول بولس (أع ١٨: ٨)، وسوستاينس رئيس المجمع فى كورنثوس أيضًا الذى أخذه اليونانيون وضربوه عندما أبى غاليون الوالى أن يستمع لشكواهم ضد بولس (أع ١٨: ١٧) . ولو كان هو نفسه سوستانيس المذكور فى العدد الأول من الرسالة الأولى الى كورنثوس، لكان معنى ذلك أنه قد آمن بالرب يسوع وصار أخًا فى الرب.

عصا هارون التي تشير إلى المسيح
للقديس كيرلس الإسكندري

كان **قورح وأبيرام** ومعهم **داثان** ينحدرون من **سبط لاوي**. وبالرغم من أنه أوكل إليهم العمل الليتورجي القانوني في الخيمة المقدسة بقرار من السماء، إلا أنهم غاروا من مجد موسى وهارون، وأرادوا أن يسرقوا الكرامة لذواتهم، دون أن يدعوهم الله لهذا العمل. هكذا، وبينما هم تحت تأثير وقاحة شنيعة، وغيرة شديدة، اشتكوا ضد موسى وهارون بطريقة غير مقبولة .. ولكن هؤلاء نالوا عقابهم على كل ما أقدموا عليه، إذ ابتعلتهم الأرض ..

بقرار من السماء، وليس بإرادة موسى، أخذ هارون المكان الأول في الكهنوت. وحين أراد المُشَرِّع أن يُعلن هذا الأمر قال **لموسى العظيم**: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخُذْ مِنْهُمْ عَصًا عَصًا لِكُلِّ بَيْتِ أَبٍ مِنْ جَمِيعِ رُؤَسَائِهِمْ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمِ. اثْنَيْ عَشَرَةَ عَصًا. وَاسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَاهُ. وَاسْمُ هَارُونَ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَا لاَوِي، لأَنَّ لِرَأْسِ بَيْتِ آبَائِهِمْ عَصًا وَاحِدَةً. وَضَعْهَا فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكُمْ. فَالرَّجُلُ الَّذِي أَخْتَارُهُ تُفْرِخُ عَصَاهُ، فَأُسَكِّنُ عَنِّي تَذَمُّرَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَتَذَمَّرُونَهَا عَلَيْكُمَا». فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْطَاهُ جَمِيعُ رُؤَسَائِهِمْ عَصًا عَصًا لِكُلِّ رَئِيسٍ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمِ. اثْنَيْ عَشَرَةَ عَصًا. وَعَصَا هَارُونَ بَيْنَ عِصِيِّهِمْ. فَوَضَعَ مُوسَى الْعِصِيَّ أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ. وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاَوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا. فَأَخْرَجَ مُوسَى جَمِيعَ الْعِصِيِّ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَظَرُوا وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ، عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ، فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا» (عدد ١٧: ١-١٠).

إذن، كان النبتُ لعصا هارون علامة واضحة، واختيارًا – بطريقة باهرة وممتازة – للقيام بالعمل المقدس. لأن **هارون العظيم** كان من نسل لاوي. لكن لو نظرنا لهذا الحدث من منظار روحي، لأشرق لنا **سرّ المسيح** في هذه الأمثلة الغنية.

لقد عُيِّن عمانوئيل حقًا كَمُشَرِّع، ورئيس كهنة لأجلنا بواسطة الله الآب مُقَدِّمًا ذاته ذبيحة لأجلنا، لأن الناموس – كما يقول بولس الطوباوي – «فَإِنَّ النَّامُوسَ يُقِيمُ أُنَاسًا بِهِمْ ضَعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتُقِيمُ ابْنًا مُكَمَّلاً إِلَى الأَبَدِ.» (عب ٧). إذن، فقد نزل الكلمة من السماء وصار مشابهًا لنا، خادمًا للأقداس والخيمة الحقيقية التي أقامها الرب، وليس أي إنسان. لكن الذين انحدروا من دم إسرائيل لم يقبلوا تدبير تجسُّدِهِ، وعَدُّوه عدوًا لهم، فضربوه بشتى الطرق، **بسهام الحسد والغيرة**، ولم يتورعوا عن استخدام اللسان والوقاحة والاتهامات السخيفة ضده، بينما التعساء منهم انجروا إلى هلاك ذواتهم، وحكموا عليه بالصلب.

لكن العصا التي خرجت من جذر يسى، نبتت مرة أخرى. (إش ١١: ١)، أي قام المسيح ودبَّت فيه الحياة مرة ثانية، «ناقضًا أوجاع الموت» – كما هو مكتوب (أع ٢). لقد كان حقًا هو الحياة بطبيعته أي بلاهوته، فكيف يمكن أن يُمسك من الموت ولا ينتصر على الفساد؟!

ومثلما أُحييت العصا، ونَبَتَ مرة أخرى – بالفعل – السِّبط الميت، وكان هذا الأمر بالنسبة للأقدمين علامة على أن هارون قد عُيِّن رئيس كهنة بقرار السماء، هكذا نستند على إنَّ البرهان الساطع والحي والكافي على أنّ عمانوئيل هو الإله بطبيعته، هو أنه داس الموت، وأنه قام من الأموات كما يليق بإله. وأنه هو نفسه المسيح الذي بالرغم من أنه كان يمكنه – دون أي تعب – أن يستجيب لأولئك الذين طلبوا منه آية، إلَّا أنه قال: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نينوى، كَذلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا لِهذَا الْجِيلِ» (لو ١١).

إذن، فقد صار من المعروف أنَّ آية حقيقة ساطعة قد أُعطيت، لكي يؤمن البشر أنه هو **الله بطبيعته**، وإنه قد أتى من الآب، وأنَّ الابن قد **أبطل الموت والفساد** ونَبَتَ مرَّة أخرى في الحياة. «وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ.» (١ كو ١٥). وأعطى علامة لأبناء المعصية، لكي يعرفوا أنه – بقرار من الله الآب – صار المسيح لأجلنا رئيس كهنة، «قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ» (عب ٧).

عصا هارون أثمرت لوزًا. ليس غريبًا أن نشير إلى أن العصا قد جاءت من شجرة اللوز. إذ اعتاد الأقدمون على استخدام مثل هذه العِصِيّ. ولكي يجيء الحديث منسجمًا مع التفسيرات، سأشير أيضًا إلى الأمر الذي صار تقليدًا، إذ يرى البعض أن عصا اللوز لها قوة تجلب يقظة وسهرًا إذا وضعها الشخص بالقرب من رأسه، الأمر الذي يمكن أن يصير بقدرات طبيعية بسماح من الله. وهذا الأمر يؤكده لنا كلي المعرفة وخالق الجميع عندما تحدث مع إرميا قائلًا: «مَاذَا أَنْتَ رَاءٍ يَا إِرْمِيَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا رَاءٍ قَضِيبَ لَوْزٍ. فَقَالَ الرَّبُّ لِي: أَحْسَنْتَ الرُّؤْيَةَ، لأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا» (إرميا ١: ١١-١٢).

إذًا عصا اللوز يمكن أن تُعْتَبَر حقًا رمزًا لليقظة والسهر. اليقظة من النوم إذن هي **قيامة المسيح من بين الأموات**. لذلك يقول المرنم على الربابة: «أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي» (مزمور ٣).

الصليب عظة للقديس يوحنا الذهبي الفم

اولًا: مجد الصليب وفخره

١) اليوم يا أحبائي نُعيِّد ونحتفل إذ أن السيد على الصليب والشمس متوارية. ولا تتعجب من أن الأمور التي تسبب التجهم والعبوس هي نفسها التي نحتفل بها، إذ أن كل الأمور الروحية تختلف عن الأمور الجسدية المعتادة. ولتعلم هذا بالتمام.

كان الصليب في السابق اسمًا للقصاص والعقاب، أما الآن فهو اسم للفخر والاحترام، كان الصليب في السابق موضع عار وعذاب، أما الآن فأصبح سبب مجد وشرف.

وكون أن الصليب هو مجدٌ يؤكده قول المسيح: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يو٥: ١٧).

فالصليب هو قمة خلاصنا، الصليب هو مصدر عشرات الآلاف من الخيرات، بواسطته صار المنبوذون والساقطون مقبولين في عداد الأبناء.

به لم نعد بعد مُضللين بل للحق عارفين.

بالصليب أصبح الذين كانوا فيما مضى يعبدون الأخشاب والأحجار، يعرفون خالق الكل.

بالصليب نال عبيد الخطيئة عتق الحرية بالبِرّ.

به صارت الأرض سماءً، فهكذا (بالصليب) تحررنا من الضلال، وهكذا نلنا الإرشاد إلى الحق.

هكذا تمَّم الله أمرًا يليق به تجاه البشر.

هكذا أقامنا من عمق الخطيئة ورفعنا إلى قمة الفضيلة.

هكذا أباد ضلال الشياطين وهكذا كشَفَ الخداع.

بالصليب لم يعد هناك دخان، ولا دماء حيوانات مهرقة، بل في كل مكان نجد الاحتفالات الروحية والتسابيح والصلوات.

بالصليب هربت قوات الشرّ وَفَرَّ الشيطان.

بالصليب تتسابق الطبيعة البشرية لتنضم إلى محفل الملائكة.

بالصليب صارت البتولية مستوطنة على الأرض. فحيث أتى المسيح من عذراء، فقد فتح طريق هذه الفضيلة أمام طبيعة البشر.

بالصليب أنارنا نحن الجلوس في الظلمة.

بالصليب حرَّرنا من الأسر، وبعد أن كنا بعيدين صرنا منه قريبين.

هكذا بالصليب خلُصنا، وصار لنا هذا الفداء بالفعل.

هكذا بالصليب بعد أن كنا غرباء صرنا مواطنين سمائيين.

هكذا بالصليب بعد أن كنا نُحارب صار لنا السلام والأمن.

وبالصليب لم نعد نخاف سهام الشيطان، فقد وجدنا نبع الحياة.

بواسطة الصليب لا نحتاج فيما بعد الزينة الخارجية لأننا نتمتع بالعريس.

وبه لم نعد نخاف الذئب فقد عرفنا الراعي الصالح «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ» (يو١٠: ١١)

وبه لن نرهب الطاغية إذ صرنا في جانب المَلِكِ.

ثانيا : لماذا نحتفل بالصليب؟

أرأيت كم هي الخيرات التي قدمها الصليب لنا؟ إذن يحق لنا أن نقيم عيدًا له. ولهذا أوصانا بولس الرسول أن نُعيّد قائلًا: «إِذًا لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ.» (١كو٥: ٨).

ولماذا توصينا أيها الرسول المغبوط بولس أن نحتفل بالصليب؟

لقد أوضح السبب «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.» (١كو٥: ٧).

أرأيت كيف يكون الصليب عيدًا للمسيح؟ أعرفت أنه يجب أن نعيّد للصليب؟ لقد ذُبح المسيح على الصليب، وحيث تكون الذبيحة

هناك عتق من الخطايا، هناك مصالحة مع الرب، هناك عيد وفرح.

ثالثا : المسيح : الذبيحة والكاهن

لقد قيل إن فصحنا المسيح ذُبح من أجلنا. فقل لي أين ذُبح؟ لقد ذُبح مرفوعًا على الصليب. المذبح جديد ومختلف عن أي مذبح، لأن الذبيحة جديدة ومختلفة عن أي ذبيحة، فهو نفسه الذبيحة والكاهن. أما كونه ذبيحة فبحسب الجسد، أما كونه كاهنًا فبحسب الروح، وهو نفسه المقدِّم والمُقدَّم. فاسمع أيضًا ما يقول بولس لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ وهو مَأْخُوذ مِن بين النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِيمَا هو لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ تقدمات، أَمَّا المسِيحُ فَلَمْ تَكُن لهُ حَاجَة إِلَى ذلِكَ إِذْ قَرَّب ذَاتَهُ» (عب ٥:٨، ٣:٨). ويقول بولس الرسول في موضع آخر «هكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضًا، بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ» (عب ٩:٢٨). لقد قُدِّم ههنا، أما هناك فقدَّم ذاته. أرأيت كيف صار ذبيحة وكاهنًا معًا، وكيف كان الصليب مَذْبحًا له؟

رابعا: لماذا صُلب المسيح خارج المدينة ومرتفعًا على الصليب؟

ومن الضروري أن تعلم لأي سبب لم تُقدم الذبيحة داخل الهيكل اليهودي، لكن خارج المدينة، خارج الأسوار. لقد صُلب خارج المدينة مثلَ أثيمٍ حتى يتم ما قيل بالنبي «فَتَمَّت الكِتابةُ القائِلةُ: وأُحْصِيَ معَ الأَثَمَةِ» (إش٥٣:١٢).

ولماذا صُلب خارج المدينة مرتفعًا على الصليب، وليس تحت سقف ما؟ لكي يُطَهِّر طبيعة الهواء. فهناك وهو مرفوع على الصليب لم يكن يُظلِّلُهُ سقفٌ بل سماءٌ، لكي يطهرها مرة بذبح الخروف هناك عاليًا على الصليب. وكما تطهرّت السماء، فإنه طهّر الأرض أيضًا. فعندما سال الدم من جنبه تطهرت الأرض من كل دنس.

ولماذا لم تقدم ذبيحة الصليب تحت سقف أو في هيكل يهودي؟ أعلم أن هذا أيضًا ليس أمرًا بسيطًا، فقد حدث ذلك لكي لا يدّعي اليهود أن الذبيحة تخصهم وحدهم، أو يُظَنَّ أنها قُدمت عن هذا الشعب فقط، ولهذا قُدِّمَتْ خارج المدينة والأسوار لكي تُعلِمهم أن الذبيحة هي مسكونية، وأيضًا أنها قُدمت عن الكل.

وأن تطهير الطبيعة شامل لكل الأرض، بعكس اليهود الذين أمرهم الله أن يتركوا الأرض كلها، ويُبقوا لأنفسهم مكانًا واحدًا للصلاة وتقديم الذبائح، بسبب أن الأرض كلها كانت مُدَنَّسَةً بدخان ودماء ذبائح الوثنيين وأَدْنَاسِ اليونانيين.

أما بالنسبة لنا فقد جاء المسيح وتألم خارج المدينة وطهّر كل المسكونة وجعل كل موضع مكانًا للصلاة. أتريد أن تعرف كيف أنّ الأرض كلها أصبحت هيكلًا وأن كل مكان أصبح مكانًا للصلاة؟

أسمع أيضًا ما يقوله المُطوب بولس «فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرِّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، رَافِعِينَ أَيَادِيَ طَاهِرَةً، بِدُونِ غَضَبٍ وَلاَ جِدَال.» (١تي٢:٨). أرأيت أن المسكونة كلها تطهَّرت، إنَّنا نستطيع أن نرفع أيادي طاهرة في كل مكان؟ فلقد صارت إذن الأرض بأسرها مقدسة، بل بالحري أقدس من قدس أقداس اليهود. وكيف يكون هذا؟ هناك في قدس الأقداس يُقَدَّمَ خروف من الحيوانات غير العاقلة أما هنا فالخروف عاقل (ناطق). وبمقدار ما تفوق الذبيحة العاقلة الذبيحة غير العاقلة، هكذا يفوق تقديس الأرض (بالصليب) على أقداس اليهود. وبالتالي فالصليب هو عيد حق.

خامسًا: بالصليب فُتح الفردوس

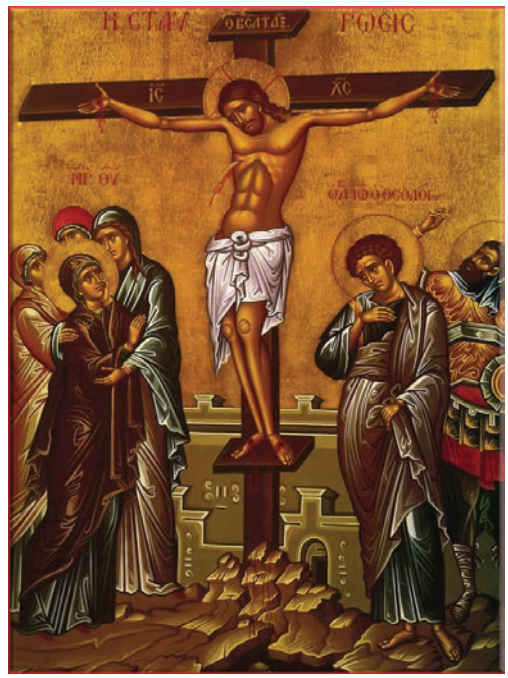

٢) أَتَرْغَبُ في معرفة إنجاز عظيم آخر للصليب يفوق إدراك العقل البشري؟ إن الفردوس الذي كان مغلقًا قد فُتح اليوم. اليوم دخل اللّص إليه. هناك إنجازان عظيمان، فتح الفردوس ودخول اللّص إليه، إعادته لوطنه القديم، واسترداده إلى بلده الأم.

««الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».» (لو٢٣:٤٣). ماذا تقول (يارب)؟ هل وأنت مصلوب ومُسَمَّر على الصليب تَعِدُ بالفردوس؟ كيف بالحقيقةِ تهبُ ذلك؟

يقول بولس الرسول «لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ صُلِبَ مِنْ ضَعْفٍ» لكن فلتسمع ما تلاه «لكِنَّهُ حَيٌّ بِقُوَّةِ اللهِ.» وفي موضع آخر يقول «لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» ولهذا يقول: إني أَعِدُ وأنا على الصليب، لكي تعلم من هذا أيضًا قوتي. فهذا الأمر المحزن لم يحدث ليبعدك عن التفكير في طبيعة الصليب بل لتعلم قوة المصلوب عليه والمعجزة التي تمت فوقه، تلك المعجزة التي تشير إلى قوة المصلوب، فاللّص لم يؤمن به وهو يقيم الموتى أو ينتهر أمواج البحر ويطرد الشياطين، بل عندما كان مصلوبًا ومسمّرًا وهو مُعرّض للشتم والبصق والهزء والتعذيب.

أنظر إذن الوجهين اللامعين لقوة المصلوب: إنه قد هزّ أركان الطبيعة وشقق الصخور، من ناحية، وإنه جعل نفس اللّص التي كانت أقسى وأصعب من الصخر، تصير وديعة.

أتقول يارب، «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»؟ الشاروبيم يحفظون الفردوس وهناك يحول سيف ناري وأنت تَعِدُ اللّص بأن تُدْخِله هناك؟

نعم يقول (المسيح): فأنا هو ربّ الشاروبيم، وَلِيَ سلطة على اللهيب والجحيم والحياة والموت. ولهذا يقول «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ». فإن كان الربّ له هذه القدرة فقد متّع بها الآخرين مباشرة، ومع أن الملك لا يَرْضَى لنفسه أن يجالس لصًا أو أحدًا من

عبيده ولا أن يرافقه إلى المدينة، إلّا أن السيّد محب البشر فعل ذلك، وأدخل معه اللّص إلى الوطن المقدس. وفي هذا فإن اللّص لا يهين الفردوس بأن يطئه بقدمه بل بالحري يشرّفه. فشرّف الفردوس أن يكون له مثل هذا السيّد القوي محب البشر الذي جعل اللّص جديرًا بالنعيم فيه. وهو عندما دعا العشارين والزناة إلى الملكوت فهو لم يُحقِّر من هذا الملكوت بل بالحريّ كرّمه وأظهر أنه رب ملكوت السموات، الذي جعل العشارين والزناة أهلًا لمجد وعطية الملكوت هناك. وكما أننا نُعْجَبُ بالطبيب عندما نراه يشفي الناس من الأمراض المستعصية ويأتي لهم بالصحة التامة، هكذا يا أحبائي، يجب أن نُعْجَبُ بالمسيح ونُدْهَش إذ هو يشفي أمراض نفوس الناس المستعصية، ويعتقها من الشرور المسيطرة عليها، جاعلًا أولئك الذين سيطرت عليهم الشرور إلى أبعد الحدود، أهلًا لملكوت السموات.

سادسًا :ايمان اللص و اعترافه

«الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»: شرف عظيم ، محبة للبشر فائقة، صلاح يعجز اللسان عن وصف إفراطه، فالدخول إلى الفردوس له شرف عظيم جدًا إذ هو دخول مع السيد.

ماذا حدث؟ هلّا تقول لي ما الذي أظهره اللّص حتى يكون مستحقًا للفردوس وليس للصليب؟ أتريد باختصار أن أقول وأُظهر لك فضل اللّص؟

فالربّ الذي أنكره بطرس هامَةُ الرسل، مع أنه لم يكن على الصليب، اعترف به اللّص وهو معلّق على الصليب. وأنا لا أقول هذا لأتهم بطرس، حاشا، لكن أريد أن أُظهر عظمة نفس اللّص وفلسفته الفائقة. فذاك (التلميذ) لم يحتمل تهديد رخيص من بنت صغيرة، أما اللّص وهو يرى الجمهور كلّه يهتف ويُجن ويصرخ بالتجديفات والسخريات على المصلوب، فإنه لم يلتفت إلى إهانات المصلوب، لكنه بعيون الإيمان، لم يبال بكل هذا وترك عنه هذه العثرات، واعترف بأنه سيّد السموات قائلًا تلك الكلمات التي جعلته مستحقًا للفردوس: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو٢٣:٤٢).

فلا تتجاوز هذا اللّص ببساطة ولا تخجل أن تتخذه معلمًا فإن سيّدنا نفسه قَبْلَنَا، لم يستَحِ منه بل ادخله الفردوس. لا تخجل أن تتخذ الإنسان الذي استحق . قبل الناس جميعًا . أن يكون أهلًا لنعيم الحياة في الفردوس، مُعَلمًا لك. ولنفحص كل هذه الأمور بدقة لنتعرف من الآن فصاعدًا بقوة الصليب.

لم يقل له كما قال لبطرس وأندراوس «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّادَيِ النَّاسِ (مت٤:١٩)، ولم يقل له كما قال للاثني عشر تلميذًا «تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ.» (مت١٩:٢٨). لم يجعله أهلًا لسماع أقوال كهذه، لم يرَ أية معجزة، أو ميتًا قام، أو شياطين مطرودة ولا بحرًا طائعًا، لم يذكر له شيئًا عن الملكوت، فمن أين عرف اسم الملكوت؟

كان اللّص الآخر يشتمه، فقد صُلب معه لص آخر ليتم القول «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ» (إش٥٣:١٢). لقد حاول اليهود ناكري الجميل تشويه مجد المسيح وبكل طريقة كان لهم تأثيرٌ فيها على مجرى الأحداث. غير أن الحقيقة كانت تسطع من كل ناحية ويزداد بهاؤها كلما زادت المقاومة ضدّها.

كان اللّص الآخر يشتمه. وقال أحد البشيرين إن اللّصين كانا يستهزئان بالمسيح وهذه حقيقة، زادت من فضل اللّص (اليمين)، فمن الطبيعي أن يستهزئ أولًا، غير أن ما قد فعله بعد ذلك هو صواب، عكس الآخر الذي استمر في استهزائه.

فهل رأيت الفرق بين لصٍّ ولصّ؟ كل منهما معلقٌ على الصليب، وكل منهما كان شريرًا، وكل منهما عاش حياة اللّصوصية، لكن مصيرهما لم يكن واحدًا. الأول ورث الملكوت، والآخر أُرسل إلى الجحيم، وما حدث بالأمس مشابه لما يحدث اليوم، فهناك فرق بين تلميذ وتلاميذ. فالأول دَبَّرَ لتسليمه والآخرون استعدوا لخدمة المائدة. الأول قال للفريسيين «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟» (مت٢٧:١٥) والآخرون قالوا للمسيح «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» (مت ٢٦:١٧).

هكذا الحال ها هنا فالواحد لصّ والآخر لصّ، لكن الأول يَشْتُم والآخر ينطُقُ بشهادة الإيمان، الأول يجدف والثاني يمدح بينما يرى المسيح مصلوبًا ومسمَّرًا والجموع من أسفل تشتم وتهتف عاليًا، ولم يمنعه كل هذا من أن يعلن ما يليق بهذا المجد، لكنه يهاجم اللّص (اليسار) بشدة قائلًا: «أَمَا تَخَافُ اللهَ؟» (لو٢٣:٤٠-٤١).

٣) أرأيت جرأة اللص (اليمين) في إبداء رأيه جهرًا؟ أرأيت أنه لم ينسَ مهنته الأولى، حتى أنه باعترافه (بالمسيح) قد سرق أيضًا الملكوت؟.

قال للص اليسار: «أما تخاف الله»، أرأيت شجاعته وحكمته وورعه على الصليب؟ وألَا يستحق منك التعجب وأنت تراه متمالكًا نفسه رغم آلامه على الصليب؟ وهو لا يستحق التعجب فقط بل وأيضًا التطويب إذ هو لم يلتفت لآلامه الشخصية بل انصرف عنها للاهتمام بآلام الآخر، ذلك الذي ضل. فصار معلمًا وهو على الصليب، فانتهرَ اللّص اليسار قائلًا «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ، إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟» وليس هذا فقط بل قال له: لا تهتم بالمحاكمة الأرضية، ولا بما سوف يقررونه، لا تنظر فقط إلى ما يجرى الآن. فهناك قاضٍ آخر غير منظور، نزيه، بدون شك، على تلك المحكمة. لا تبالِ بما يتمّ الحُكم به هنا (أسفل) فهناك (فوق) الحكم مختلف. ففي المحكمة

الأرضية يُدان أبرار كثيرون، ويترك مدانون أحرارًا، هناك أبرياء يُتهمون، ومتهمون يهربون. بالشدّة يعامِلُون البعض وباللّين البعض الآخر. يجهلون القانون فيُخدَعون، أو تُفسِدُ الرشّوة ضمائرهم فلا يتمسكون بالحق ويحكمون ضد الأبرياء. هناك في السماء الأمور ليست هكذا. فالله هو قاضٍ عادل، وحُكْمُهُ يسطع كنور، لا عَتْمةَ فيه ولا كتمان ولا تضليل. وبماذا تُعزّي هذا اللص (اليمين) حتى لا يقول إنه قد حُكم عليه طبقًا لقوانين المحكمة الأرضية؟. وجِّهْ نظره إلى المحكمة السمائية، إلى المنبر المخوف، إلى الحكم العادل، وإلى القاضي غير المُضلّل، ذَكِّره بالحكم المخوف، قل له: تطلّع إلى هذه الحقائق السمائية ولا تبالِ بقرار الحكم الأرضي، ولا تكسبنَّ موقف الناس الأرضيين، لكن تعجب وتأمل في الحكم الصادر من فوق.

قال اللّص (اليمين) للصّ اليسار: «أَلَّا تخاف الله أنت؟». أرأيت تعليمه؟ لقد قفز قفزة واحدة من الصليب إلى السماء. أنظره وقد أتم القانون الرسولي، ولم يفكر في نفسه فقط، بل فَكَّرَ وعملَ كل ما في استطاعته من أجل الآخر، حتى إنه أراد إنقاذ اللص الآخر من الضلال وإرشاده إلى معرفة الحق.

وبعدما سأله قائلًا: «أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ؟» اتْبَعَ سؤاله بقوله: «إِنَّنَا تَحْتَ القَضَاءِ عَيْنِهِ»، يا له من اعترافٍ تام. ماذا يعني أننا تحت القضاء عينه؟! بالطبع إننا تحت العقاب. وها نحن بالفعل نُعاقب بالصليب. فمن يعيّر غيره يهين نفسه أولًا. لأن من يكون مخطئًا بالفعل ويدين غيره، هو يدين نفسه أولًا. ومن يكون في نكبة ويعيّر آخر على محنته، يعيّر نفسه أولًا.

وفي قوله «إِنَّنَا تَحْتَ القَضَاءِ عَيْنِهِ» كأنما يردد القانون الرسولي والأقوال الإنجيلية «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا» (مت٧:١) «إِنَّنَا تَحْتَ القَضَاءِ عَيْنِهِ» (ماذا تقول أيها اللّص؟) أو ماذا تفعل؟ هل جعلت بقولك هذا نفسك واللّص الآخر شريكين للمسيح؟ كلا. يقول اللّص إني سأُصلح كلامي على هذا النحو: نحن بعدل جُزينا (لو٢٣:٤١).

أرأيت اعترافًا أكمل من هذا على الصليب؟ أرأيت كيف أن اعترافاته قد رَفعت خطاياه؟ أرأيت كيف أنه أكمل القول النبوي «اعترف بخطاياك أولاً لكي تتبرر» (إش٤٣:٢٦س)، لم يُرغمه أحد، ولم يشتَكِ عليه أحد فيما يقول بل كان شاكيًا لنفسه، ولهذا أقرَّ قائلًا: « أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ » (لو٢٣:٤١).

أرأيت تقوى أعمق من هذه؟ حين أدان نفسه وحين لم يستح أن يكشف أعماقه وحين دافع عن السيِّد قائلًا: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ، لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ».

وحين فعل هذا، حينئذٍ استطاع أن يبتهل قائلًا «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ». إنه لم يجرؤ أن يقول «اذْكُرْنِي فِي مَلَكُوتِكَ» إلّا بعد أن اعترف فتطهَّرت نفسه من الخطايا، وبعد أن أدان نفسه، فرُفعت الأحكام التي أدانته.

أرأيت قوة الاعتراف؟ فاسمع أيها الحبيب، وتشجع ولا تيأس، بل يلزم أن تَعِي مقدار محبة الله للبشر والتي لا يمكن التعبير عنها، وَلْتُسْرِعْ لإصلاح خطاياك.

لأنه إن كان قد اعتبر اللصّ وهو على الصليب جديرًا بذلك الشرف، فكم بالحري يعتبرنا نحن . إن كانت لنا الإرادة أن نعترف بخطايانا . جديرين بمحبته. فلنعترف بخطايانا ولا نخجل منها. فعظيمة هي قوة الاعتراف بالخطايا، وكبيرة هي قدرته. فبمجرد أن اعترف اللصّ، فُتح له الفردوس، اعترَفَ فنال شجاعة عظيمة ودَالَّةً حتى إنه وهو لصٌّ قد طلب الملكوت. نعم في تلك اللحظة فقط استطاع أن يطلب الملكوت.

سابعا : الصليب رمز ملكوت السموات

من أين لك أن تتذكر ملكوت السموات أيُّها اللصّ؟ قل لي هل ترى شبيهًا منه الآن؟ إن ما هو ظاهر للعين هو المسامير والصليب والاتهامات والهزء والشتائم.

نعم يقول: فالصليب هو رمز ملكوت السموات. ولهذا فإني أدعو المصلوب عليه ملكًا. ملكًا إذ هو يموت من أجل رعاياه، فقد قال عن نفسه إنه «الرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ.» (يو١٠:١١). حقًا والملك الصالح يضع نفسه من أجل رعاياه. ولأنه وضع نفسه بالفعل لهذا فأنا أدعوه ملكًا. واهتف «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ».

٤) أتريد أن تعرف كيف أن الصليب رمزٌ لملكوت السموات؟ وما هي دلالاته؟ إن المسيح لم يترك الصليب على الأرض بل أخذه وأصعده معه إلى السماء. من أين استدللت على ذلك؟ لأنه سيُحضره معه في المجيء الثاني.

لكن دعنا نرى كيف سيحضر الصليب معه ولنسمع قول المسيح «فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلاَ تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلاَ تُصَدِّقُوا.» (مت٢٤:٢٦)، فإنه يتكلم عن مجيئه الثاني، مشيرًا إلى **المسحاء والأنبياء الكذبة**، وإلى ضدِّ المسيح، لكي لا يضلّ أحد ويسقط في يديه. لأن ضدّ المسيح سيأتي قبل المسيح (في مجيئه الثاني) وقد أخبرنا بذلك حتى لا يقع أحد بين أنياب الذئب وهو يبحث عن الراعي (المسيح). وأنا أقول لك هذا حتى تستطيع أن تميز علامات حضور الراعي. فإن كان حضوره الأول قد تم بطريقةٍ خَفِيَّةٍ فلا تظنُّوا أن مجيئه الثاني سيكون كذلك. كان حضوره الأول خفية، لأنه أتى ليطلب وليفتش عن الضال، أما مجيئه الثاني فلن يكون كذلك. لكن كيف؟ «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ.» (مت٢٤:٢٧) سيظهر للجميع معًا. فلا تعود هناك حاجة إلى التساؤل (عما إذا كان المسيح

هنا أو هناك). فكما أننا لا نحتاج إلى التساؤل عندما يحدث البرق، هكذا عند مجيئه لن نحتاج عما إذا كان المسيح قد حضر أم لا.

والآن نتكلم عن إنه سيُحضِر الصليب معه. فأسمع ما قاله بوضوح: حينئذٍ، عندما آتي تُظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، لأن بهاء النور سيكون عظيمًا جدًا، حتى أن نور الكواكب الكبيرة المشِّعة يختفي بإزاء ذلك النور، وعندئذ تسقط النجوم وتظهر علامة ابن الإنسان في السماء (مت ٢٤: ٢٩-٣٠).

ثامنا : علامة الصليب

أرأيت تَفَوُّق العلامة (الصليب)، كيف هي مبهجة؟ كيف هي مشرقة؟ فالشمس تُظلم والقمر لا يظهر، النجوم تسقط، أما تلك العلامة (الصليب) فإنها وحدها تظهر، لكي تعلم أن نورها أشد قوة من الشمس وأبهج من القمر. وكما يستقبل الجنود الملك عند دخوله إلى المدينة بالرايات المحمولة على أكتافهم معلنين دخوله، هكذا يحمل الملائكة ورؤساء الملائكة تلك العلامة عند نزول الرب من السماء معلنين دخوله الملوكي لنا (للبشر). «وعِنْدَئِذٍ تَتَزَعْزَعُ قُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ.»، ويعني بذلك الملائكة ورؤساء الملائكة وكل القوات غير المرئية. فهذه سيمتلكها الخوف والرعب، فهلَّا قلت لي لماذا؟ لأن ذلك الحكم سيكون رهيبًا، فالطبيعة البشرية بأسرها ستُحاكم وتُسأل عن مسؤوليتها أمام المنبر المَخُوف.

لكن لماذا تخاف الملائكة حينذاك، ولماذا تَرهب القوات غير المتجسدة؟ طالما أنها لن تُحاكم. لأنه كما أن القاضي الأرضي عندما يجلس عاليًا على المنبر للحكم، لا يرتعد منه المذنبون وحدهم بل الحراس أيضًا، لا من تأنيب الضمير بل بسبب خوفهم من القاضي، هكذا فعندما ستكون طبيعتنا (البشرية) ماثلة للحكم معطيةً حسابًا عن أخطائها، تكون الملائكة وباقي القوات مرتعبة، لا بسبب تأنيب ضميرها بل لخوفها من القاضي.

تاسعا : سيأتي حاملًا الصليب والجراحات

والآن وقد عرفنا هذا الأمر فَلْنَعْرِفْ إذن لماذا سيظهر الصليب؟ لماذا سيحضره المسيح معه؟. أعرف أن السبب هو أن يعرف صالبوه مقدار جحودهم، إذ أن الصليب يُظهر وقاحتهم. وٱسمَع ٱلانجيليَ القائلَ، وٱعْلَمْ لماذا يحمل صليبه معه «وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ.» (مت ٢٤: ٣٠)، إن شعوب الأرض ستنوح لأنها سترى الذي أُدين (بسببها) وتعي خطيئتها.

ولماذا تتعجب من أن المسيح سيأتي حاملًا الصليب؟ إنه سيأتي أيضًا حاملًا جراحاته. وكيف نستدل على أنه سيأتي حاملًا جراحاته؟ إسْمَع النبيَّ وهو يقول «وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَٱلَّذِينَ طَعَنُوهُ» (رؤ ١: ٧). فكما فعل مع توما التلميذ عندما رغب في إصلاح قلة إيمانه، فأراه أماكن المسامير وهذه الجراحات قائلًا «هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا ، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (يو ٢٠: ٢٧، لو ٢٤: ٣٩)، وذلك ليُثبت له أنه قد قام بالحقيقة. وهكذا سيأتي (في حينه) بجراحاته وصليبه معه ليثبت للجميع أنه هو الذي صُلب. فما أعظم صلاحه وخلاصه بالصليب. إنه دليل واضح على محبة الله للبشر.

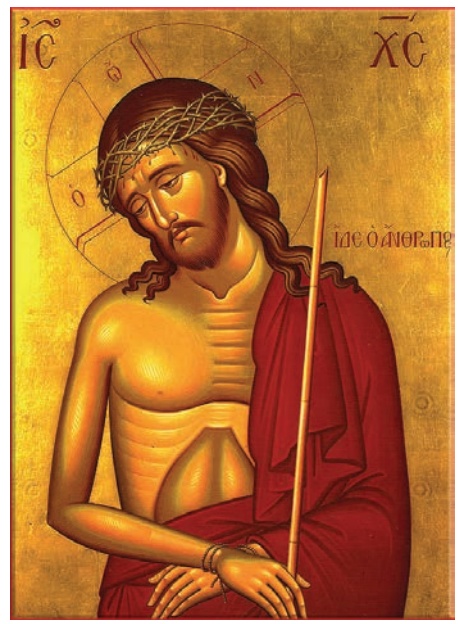

عاشرًا: الصلاة من أجل الأعداء: محبة وغفران

٥) غير أن محبته غير الموصوفة للبشر لم تُرَ في الصليب فقط، بل أيضًا في كلماته التي تَفَوَّهَ بها على الصليب. فَلْتَسْمَعْ هذه الكلمات. عندما كان على الصليب مُعَرَّضًا للهزء والسخرية والإهانة قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤).

أرأيت محبة الربّ للبشر؟ كان مصلوبًا لكنه صلى من أجل صالبيه، أمَّا هؤلاء فقد كانوا يهزأون به قائلين « إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» (مت ٢٧: ٤٠). أمَّا هو فلم ينزل عن الصليب إذ هو ابن الله، ولأجل هذا جاء لكي يُصلب من أجلنا.

قالوا: «أنزل عن الصليب لنرى ونؤمن بك».

أرأيت سفاهة الأقوال وحجج عدم الإيمان. فقد عمل ما هو أعظم من نزوله عن الصليب ولم يؤمنوا، والآن يقولون أنزل عن الصليب لنؤمن بك.

فالقيامة من الأموات والقبر مغلق بالأختام، كانت أعظم من النزول عن الصليب. وإقامة لعازر من القبر بعد أربعة أيام وهو ملفوف بالأكفان، كانت أعظم من النزول عن الصليب.

أرأيت الكلام الهزلي، أرأيت الهَوَس المتشامخ. لكن انتبه بشدَّةٍ أرجوك لكي ترى أن محبة الله للبشر هي عظيمة. وأن المسيح اتخذ من اهانتهم له سببًا لكي يصفح عنهم، إذ قال «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». ولم يكتفوا بهذا بل كانوا يقولون: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» أما هو فقد عمل كل شيء لكي يُخَلِّصَ مُعَيِّريهِ وشاتميه وقال: «اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».

فماذا حدث؟ هل غُفرت لهم خطيئتهم، نعم غُفرت خطيئة كل من أراد أن يتوب. فإنه لو لم يترك لهم خطيئتهم لما صار بولس رسولًا، ولو لم يترك لهم خطيئتهم لما آمن به في الحال الثلاثة آلاف، والخمسة آلاف، وعشرات الألوف من اليهود بعد ذلك. فَٱسْمَعْ ما كان يقوله التلاميذ لبولس (أع ٢١: ٢٠) « أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا..»

الحادى عشر: الاقتداء بالمسيح

أرجو يا أحبائي أن نقتدي به، نعم نقتدي بالربّ، ولنُصَلِّ من أجل الأعداء. وإن كنت قد نصحتكم بفعل هذا الأمر بالأمس، إلَّا إني أكَرِّر النُصح الآن، فطالما أنك عرفتَ مقدار عظمَةِ هذه الفضيلة، اقتدِ

بسيِّدك إذن، لأنه وهو مصلوب صلَّى من أجل صالبيه.

قد تتساءل: كيف يمكنني الاقتداء بالمسيح؟ أَعلَم أنك تستطيع ذلك إذ أردت ، فلو لم يكن بإمكانك أن تقتدي به لما قال «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (مت١١: ٢٩). وإن لم يكن في مقدور الإنسان أن يقتدي به، لما قال بولس الرسول «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ.» (١كو ١١: ٢٩). وإن لم تُرِدْ أن تقتدي بالسيِّد اقتَدِ بخادمه وأعني **استفانوس**، الذي كان أوَّل من ٱستشهد، لقد اقتدى بالمسيح. إن الربّ وهو مصلوبٌ بين اللصّين، قد تشفَّع إلى الآب من أجل صالبيه، هكذا **أستفانوس** خادمه الذي كان وسط الراجمين والحجارة تنهال عليه من الجميع فإنَّه احتمل الرجم ولم يبال بالأوجاع الناجمة عنه وقال «يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» (أع٧: ٥٩).

أرأيت كيف يتكلم الابن؟ أرأيت كيف يصلِّي الخادم؟ قال الابن «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» وقال خادمه أستفانوس «يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ». وٱعلم أيضًا أنه لم يصلِّ وهو واقف، بل ركع على ركبتيه وصلى بحرارة وخشوع كبيرين.

أتريد أن أريك إنسانًا آخر صلَّى صلاة عظيمة من أجل أعدائه؟ أسمع بولس المُطوب يقول: «مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً. ٢٥ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ضُرِبْتُ بِالْعِصِيِّ، مَرَّةً رُجِمْتُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِيَ السَّفِينَةُ، لَيْلاً وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمْقِ.» (٢كو١١: ٢٤.٢٥). ومع هذا قال: «فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رو٩: ٣).

أتريد أن أريك أيضًا آخرين من العهد القديم لا من العهد الجديد، يفعلون نفس الأمر؟ ويستحقون كل تقدير إذْ أن وصية محبة الأعداء لم تكن قد أُعطيت لهم بعد، بل كانت عندهم وصية العين بالعين والسن بالسن، ومجازاة الشرّ بالشرّ، ولكنهم بلَغُوا قامة مسلَكِ الرُّسل، فٱسمع ما قاله موسى عندما كان اليهود مزمعين أن يرجموه: «وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ،وَإِلَّا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ» (خر٣٢: ٣٢).

أرأيت كيف أن كل واحد من هؤلاء الأبرار كان مهتمًا بخلاص الآخرين قبل خلاصه؟! ولنسأل أي واحد منهم، إن كنت لم تخطئ، فلماذا تريد أن تشترك معهم في القصاص؟ وسوف تكون إجابته «لا أشعر مطلقًا بالسعادة عندما يتألم الآخرون».

وستجد آخرين فعلوا هكذا؟ وأنا أسوق هذه الأمثلة لكي نُصلح من أنفسنا ولكي نستأصل هذا المرض الخبيث والذي هو **بغضة الأعداء**، من داخلنا.

فالسيد المسيح يقول «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»، ويقول أستفانوس «يَا رَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ»، ويقول بولس الرسول «فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ»، ويقول موسى «وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ،وَإِلَّا فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ».

فقل لي، أي غفران سننال نحن إذا كان السيِّد وخدامه في العهدين القديم والجديد، كلهم يحثوننا على الصلاة من أجل الأعداء، بينما نحن نفعل العكس ونصلي ضدهم؟ إن ما أرجوه هو ألَّا تهملوا هذا لأنه بمقدار ما تزداد النماذج التي يجب أن نقتدي بهم، بقدر ذلك يزداد عذابنا إن نحن لم نتمثل بهم.

الصلاة من أجل الأعداء مرحلة أسمى من الصلاة من أجل الأحباء. لأن الثانية لا تكلفنا مثل الأولى: «وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟» إذا صلينا من أجل الأحباء فلن نكون أفضل من الأمم والعشارين. أما إذا أحببنا الأعداء فإننا نصبح متشبهين بالله بقدر ما تسمح به طبيعتنا البشرية فإن الله «فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ.» (مت٥: ٤٥).

فطالما لدينا أمثلة مما فعله المسيح وأيضًا خدامه، فلنتشبه بهم، ولنقتنِ هذه الفضيلة، لنكون أهلًا لملكوت السموات، مستعدين دائمًا لنقترب بدالة أكثر وبضمير نقيٍّ تمامًا إلى **المائدة المهيبة**، ولنتمتع بما وعدنا به الرب من خيرات بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ومحبته للبشر، الذي له المجد والعزة مع الآب والروح القدس. الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

سرُّ الصليب

للقديس غريغوريوس النيصي

[لذلك، فإن كنتَ تأخذ بعين الاعتبار نظام الأشياء، سواء تلك التي هي فوق السموات، أو تلك التي تحت الأرض، أو تلك التي عن جانبَي الكون على أيٍّ من الجانبين؛ ففي كل مكان، فإنَّ وجود اللاهوت يسبق تفكيرك الخاص، باعتبار أنه هو القوة الوحيدة الجديرة بالتأمُّل التي يمكنه بها أن يضبط ويحفظ وجود كل الأشياء. الآن إذا كان علينا أن نُسمِّي هذا الوجود، فهل نُسمِّيه **اللاهوت، أو العقل، أو القوة، أو الحكمة، أو أي مصطلح فائق آخر قد يكون أكثر قدرة على التعبير عن ذاك الذي هو فوق الكل**، لأنه ليس في مناقشتنا أية خصومة مع أيِّ لقب، أو اسم أو أية طريقة نستخدمها في التعبير. وبهذا، فكل الخلائق تتوجَّه نحوه بالنظر إليه، وهي تكون على مقربة منه وحوله، ومن خلاله هي متلاحمة ببعضها، الأشياء الفوقية هي من خلاله ملتصقة بالأشياء التحتية، والأشياء الجانبية متَّحدة ببعضها. والحق يُقال إنه ليس بالاستماع فقط نصل إلى الفهم الكامل للّاهوت، ولكن هذا الإدراك أيضًا يجب أن يكون مُرشدنا للتفكير في هذه المواضيع السامية. وقد كان من عمق البصيرة أن يبدأ العظيم بولس (في رسالة أفسس ٣: ١٨) في تلقين الأسرار لأهل أفسس، ويبثَّ فيهم – من خلال تعاليمه – قوة المعرفة عما هو هذا "**العمق والعُلو والعرض والطول**"].

في مديح القديسين الشهداء الأربعين للقديس باسيليوس الكبير

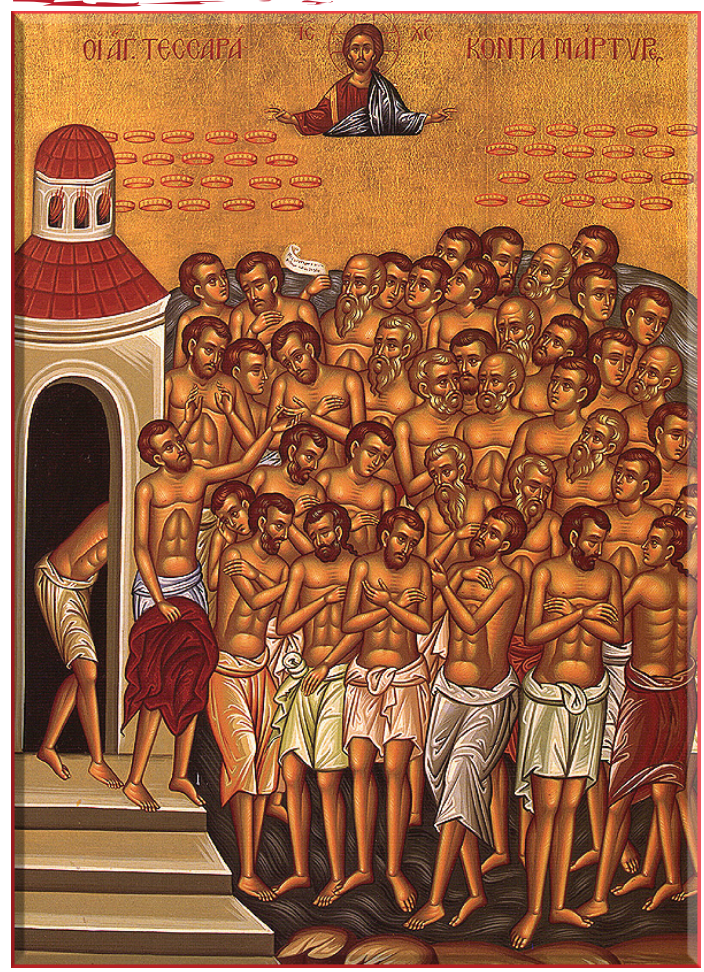

مقدّمة: أيَسأم من ذكرى الشهداء من يحب الشهداء؟ ان اكرام الصلاح من شركائنا في العبودية، يبرهن على حبنا لسيّدنا العام. ومن الواضح أن من يُثْني على الرجال العظماء يظهر من نفسه أنه لا يتأخر عن الاقتداء بهم إذا سنحت الفرصة. فقرّظْ إذن الشهيد عن اخلاص فتضحى شهيدًا في النيّة وتحظى، بلا اضطهاد ولا حريق نار ولا ضرب سياط بنفس الأجر الذي فاز به. ليس مَن يُعرَض لتعجبنا واحدًا أو اثنين ولا عشرة من الطوباويين فقط، بل **أربعون**، وكأنما لهم نفس واحدة في أجسام شتى، تجمعهم وحدة الإرادة والرأي في الإيمان. وقد أَبْدَوا نفس الثبات تجاه الأخطار، ونفس الذّود عن الحق. كلهم متماثلون فيما بينهم. متعادلون في الرأي، متعادلون في الكفاح. ولهذا أُهِّلوا لأَكلَّةِ مجدٍ متساويةٍ. فأيّ قولٍ يقوم بوصف علوّ منزلتهم؟ انه لا لسان ولا أربعون لسانًا تكفي لمديحٍ يليق بشجاعة هؤلاء الأبطال. على أنه لو كان الممدوح واحدًا لكفى به لأن يعجز قوة بياننا، فكيف بهذا الجمع الغفير، والجيش الكبير، الذي لا يُسام قهرًا ولا يُغلب في الحروب، فهو أرفع من أن تدانيه المدائح.

١– بيان المقصد والتقسيم

ولكن تعالوا نستحضرهم بالذِّكر في وسط هذا المحفل ونُعمّم للحاضرين الفائدة المجتناة من ذكرهم، مصوّرين للجميع كأنما في رسمٍ مآثر هؤلاء الرجال الشجعان. إنَّ الخطباء والمصوّرين، متى أرادوا أن يمثّلوا فعل بأسٍ في الحروب، أخذَ الأولون يزيّنونه بوَشْي الكلام، والآخرون ينقشونه على الألواح، وهكذا يستنهضون الكثيرين إلى الشجاعة وعلوّ الهمّة. فالأمر الذي يبيّنه كلام الخطيب بالسمع، يعبّر عنه الرسم الصامت بمحاكاتِهِ للواقع. فلنَصِفْ نحن أيضًا بسالة هؤلاء الشجعان ولنُظهِر أعمالهم كانما للعَيان، ولْنُحرِّكْ إلى الاقتداء بهم من كان أكثر إقدامًا ومضاهاة لهم في العزم. فبهذا يقوم مدح الشهداء ان يُستَحثّ على الفضيلة المؤمنون المجتمعون.

٢– وطنهم ونَسبهم

ان تقاريظ القديسين لا تحتمل استبعادًا لنواميس التقاريظ العادية. لأن المادحين يستخرجون موضوع مدائحهم من مصادر عالمية، وأما الذين قد صُلب العالم لهم فكيف يقدر شيء من أشياء العالم أن يكون وسيلة لفخرهم. لم يكن لهؤلاء الشهداء وطنٌ واحد، بل كلٌ منهم قد نشأ في بلدةٍ ما. فماذا إذن. أنقول انهم بلا وطن أَمْ وطنهم البسيطة جمعاء. كما ان ما يقدّمه كل عضو من أعضاء الجمعية يصبح مشتركًا بين جميع المقدّمين، هكذا كلُّ واحدٍ من هؤلاء المغبوطين قد أشرَكَ الجميع في وطنه، والجميع قد اشتركوا في وطن كل واحد. ولكن ما بالنا نبحث عن أوطانهم على الأرض، ولا نفكر أن مدينتهم الحالية هي مدينة الشهداء، مدينة الله التي الله صانعها ومبدعها، أورشليم العليا الحرّة أُمّ بولس وأمثاله. إنَّ نسبهم البشريّ مختلف، واما نسبهم الروحيّ فواحد. فإنَّ لهم أبًا واحدًا هو الله، وجميعهم أخوة. لم يولدوا من والدين بل وُلدوا بتبنّي الروح القدس، وألَّفتْ بينهم وحدة المحبة المتبادلة، فهم الجوق المهيّأ، والجيش العظيم الذي أُضيف إلى أولئك الذين يمجّدون الله منذ الدهر. لم يتجمعوا فردًا فردًا، بل انتقلوا دفعة واحدة. ولكن كيف كان انتقالهم؟

٣– مناقبهم الطبيعية

إنَّ هؤلاء الأبطال كانوا ممتازين على قرنائهم بعظمة الجسم وقوة الفتاء ومتانة العَضَل، فانخرطوا في سلك الجندية، وأبدوا من المهارة في القتال ومن ثبات الجنان ما نالوا معه من القياصرة أولَ مراتب الشرف، فأضحوا في أعين الجميع أشهر من نار على علم في البأس والإقدام.

٤– أمام ديوان الحاكم

ولما أُعلن ذلك الأمر الكفريّ الناهي عن الاعتراف بالمسيح تحت طائلة العذاب، أخذ **المُضطَهِدون** يتوعّدون المسيحيين بكل أصناف النّكال. وثار قضاه الظلم، وغضبهم عظيم يضطرم على عِبَاد الإله الحقيقيّ. فالغش والخداع قد اجتمعا عليهم وأصناف التباريح قد أُعِدَّت لهم. **فالمُعَذِّبون** لا يشفقون، والنار أُضرمت والسيف أُرهف والصليب نُصِب. الهاوية والدولاب والسياط: كل شيء مهيّأ. هرب

البعض من المسيحيين والبعض خضعوا، والبعض وهنوا قبل التجربة مرتاعين من الوعيد وَحْدَهُ. وآخرون إذ دنا الخطر خانتهم قواهم. وغيرهم نزلوا إلى الميدان، ولما لم يستطيعوا أن يبلغوا إلى غاية جهادهم تخاذلت أقدامهم في منتصف الجهاد، وكمثل من كدّتهم الزوبعة في عُرض البحرَ ألقوا ما كان معهم من وَسْق الصبر. حينئذٍ قام هؤلاء الصناديد غير المغلوبين، جنود المسيح، وجاؤوا إلى الوسط أمام الوالي الذي أراهم الأوامر الامبراطورية وأمرهم بالخضوع لها. فأجابوا بجرأة وشجاعة غير هيّابين من المشاهد الهائلة التي أمامهم، ولا جَزِعين لِمَا تُوُعّدوا به، وأعلنوا جهارًا **أنهم مسيحيون!** فأكرم بها من ألسنة نطقَت بذلك الكلام فتقدّس به الهواء وصفّقت له الملائكة، وجُرح به إبليس والشياطين. وأما الربّ فكتبه في السماوات.

صرخ إذن كل واحد منهم لما حضر في الوسط: **إنّي مسيحيّ!** وكما ان الذين ينزلون إلى حَوْمة الميدان للصراع يذكرون قبلًا أسماءهم ثم يتوجهون إلى موضع الكفاح، كذلك فعل هؤلاء الشهداء مطّرحين الأسماء التي أُعطيت لهم في يوم مولدهم ليتسمّى كل واحد باسم المسيح مخلص الجميع. فأصبح لهم تسمية واحدة، ولم يعد بينهم من يسمَّى فلانًا أم فلانًا بل كلهم أضحوا يُدعون «**مسيحيين**».

وماذا كان من أمر المغتصب؟ لما كان داهيةً خبيثًا لجأ إلى الخدعة تارة وإلى الوعيد أخرى. فابتدأ يجاملهم بحلو الكلام أملًا منه بأن يُرخي عزمهم في الإيمان. فأخذ يقول لهم: "**لا تستهلكوا شبابكم ولا تستبدلوا طيبات هذه الحياة بموت معجّل. انه لمن العار أنَّ جنودًا قد اعتادوا أن يُجَلُّوا مبرّزين في الحروب يموتون موت الأثمة الأشرار.**" وزاد على ذلك أن وَعَدَهُمْ بأموالٍ طائلةٍ ومراتب شرف ومناصب من قِبَل **الامبراطور** محاولًا بكل مكيدة وخُدعة أن يغلب ثباتهم. واذ لم يكسر شوكتهم بهذه الوسيلة انتقل إلى نوع آخر من الحِيَل، فتهدّدهم بضربات وميتات وعذابات لا تُطاق. هذا ما فعل قاضي الظلم. ولكن ماذا فعل الشهداء يا ترى؟ أجابوه: «لماذا تغرينا يا عدوّ الله بالابتعاد عن الإله الحيّ والاستعباد للشيطان الرجيم، بعَرْضك لنا خيراتك؟ ما عسى أن تكون ما تمنحه بالنسبة إلى ما تجتهد أن تحرمنا إياه؟ اني أكره منحة نتيجتها العقاب ولا أرضى بكرامة تولّد العار. انَّكَ تُقدّم لي أموالًا تفنى ومجدًا يذوي ويبس. تزعم أنك تجعلني صديقًا للملك ولكنك تجعلني نائيًا عن الملك الحقيقي. ما بالُك تمثّل لعينيّ شيئًا حقيرًا تافهًا من أشياء العالم، والعالم كلُه مُزْدَرَى لدينا؟ بل ان جميع ما نراه لا يوازي الخيرات التي نترجّاها ونشتاق إليها. أترى هذه السماء ما أجملها وأعظمها؟ والأرض ما أوسعها وكم فيها من الغرائب؟ انَّه لا شيء من كل ذلك يعادل سعادة الصدّيقين. كلّ هذا زائل وأمّا سعادتنا فثابتة. واحدة أشتهي: ألَا وهي تاج البِرّ. مجدٌ واحدٌ أنا مُشْتَهامٌ به وهو مجد الملكوت. انّي أحِنّ إلى ذلك المجد العلوي وأخشى عذاب جهنم. تلك النار هي التي تروّعني أما ناركم التي تتوعّدون بها فلا أرهبها إذ هي مساوية لنا في العبودية وقد تعلَّمَتْ أن تحترم الذين يحتقرون الأوثان. إنّي أحتسب ضرباتكم كسهامٍ يرشقها صبيان. تُثْخِنُونَ جسمي جراحًا: ولكن اعلموا أنه على قدر ما يقاسي سوف يتمجّد، وان تخاذل سريعًا ومات فانه يتخلص من جوركم أيها القضاة الظلَمَة الذين لا يستخدمون الجسد إلّا ليستولوا على النفس أيضًا. وإذا لم يُفضّلوا على الله غضبوا كأن قد ألحقنا بهم إهانة فظيعة فيتوعدوننا بشرّ العذابات ويعتدّون إيماننا علينا جناية. غير انكم لن تلاقوا منا رجالًا جبناء يحبّون الحياة أو يهابون صعبًا في سبيل محبة الله. وها اننا مستعدّون لاحتمال عذاب الدولاب والأحصنة والحريق وكل صنف من أصناف التعاذيب».

٥- الحكم بالموت

فلما سمع المتعجرف الشرس هذه الكلمات شقّت عليه جرأة أولئك الجنود الصناديد، وفار فائر غيظه فعلقَ يفكّر في استنباط وسيلة يذيقهم بها الموت مُرًّا طويلًا، إلى أن اهتدى إلى اختراع في غاية الهَمَجيّة ودونكم ما هو:

لمّا تأمّل طبيعة البلدة فوجد أنها شديدة البرد جدًا، وفصل السنة فرأى انه فصلُ الشتاء، اغتنم ليلة اشتد فيها الزمهرير والبرد وهبّت ريح شمالية تقطر سُمًّا، ثم أمَرَ بأن يُعَرّوا جميعًا ويبقوا هكذا في العراء في نصف المدينة إلى أن يجمد الدم في عروقهم فيموتوا. ولا أخالكم تجهلون أنتم الذين اختبرتم برد الشتاء، كم ان هذا العذاب شديد. فانه يستحيل على الذين لم يذوقوا طعمه ولم يختبروا في أنفسهم حقيقته أن يُحسنوا تصويره لنا. فالجسم ينفذ فيه البرد القارس فيصير أدكن اللون أسوده لجمود الدم فيه، ثم ينتفض وتأخذه القشعريرة وتصطكّ الأسنان وتتقلّص الشرايين والعروق، وكل الأعضاء تتشنّج بغتة منقبضة فيشعر الإنسان بوجعٍ شديدٍ وألمٍ لا يوصف، ينفذ حتى إلى نِقْي العظام فيجعل اللمس لمن تجمّد الدم في عروقه عذابًا لا يُطاق. وبعدئذٍ تسود الأطراف كأنها قد أحرقت بالنار ثم تتناثر شيئًا فشيئًا. وتتراجع الحرارة عن أطراف الجسم إلى القلب تاركة الأعضاء التي تنسحب منها ميتة والأعضاء التي تلجأ إليها متألمة، ريثما تُقبل المنيةُ ببطء مع تجمّد الدم. حُكِمَ إذن عليهم بأن يقضوا الليلة في الفضاء في مستنقعٍ كانت المدينة التي فيها جاهدَ القديسون قائمة على جوانبه. وكان قد غَشَاهُ الجليد فأضحى كسهل يمكن أن تتسابق فيه الخيل ويمشي فوقه السكان آمنين. أما الأنهار التي كانت تجري بدون انقطاع فحال دونها الجليد فوقفت عن جريها. والمياه السائلة من طبعها تحولت إلى صلابة الحجارة. وكانت ريح الشمال القارسة تودي بحياة كل ذي نسمة.

٦- إلى بحيرة الجليد

وهنا تأمّل بأس هؤلاء الأبطال. فانهم حالما سمعوا ذلك الحُكم خلع كل واحد ثيابه عن آخرها ومشوا إلى الموت موت الجليد يحثّ بعضهم بعضًا كأنما على استلاب غنيمة. وكانوا يقولون: ﴿«لسنا نخلع ثوبنا بل الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور» (أفسس ٤/٢٢). اننا نشكرك يا رب على اننا بتجردنا من هذا الرداء نطرح الخطيئة. لقد تردّيناه بمشورة الحيّة وها نحن ننزعه لأجل المسيح. فلا نتعلق بثيابنا لننال الفردوس الذي أضعناه. بماذا نكافئ الرب؟ ان سيّدنا قد عُرّي مثلنا، أفعظيم أن يتأ لم العبد كمولاه؟ بل اننا نحن أنفسنا قد عرّيناه لأن تلك الجسارة إنما كانت فعل الجنود وهم الذين جرّدوه من ثيابه،

واقتسموها بينهم. فعلينا إذن نحن الجنود أن نمحو تلك الشكاية المكتوبة علينا. ان الشتاء قارس ولكنّ الفردوس عذب. ان الجليد مؤلم ولكن الراحة حلوة. لنصبر قليلًا فيكون حضن أبي الآباء دفأنا. فلنستبدلْ ليلة بطول الأبد. أَلَّا فَلْتَسْوَدَّ القدم محترقة لتتنقّل يومًا مع الملائكة. ولتسقطِ اليد لكي تُرفع بدالة إلى السيّد. كم من زملائنا الجنود قد سقطوا في ساحة القتال ليحافظوا على أمانتهم لملكٍ زائل.

وأما نحن أَفَلَا نُطوّح بحياتنا هذه محافظة على الأمانة للملك الحقيقي؟ كم من أُناسٍ ماتوا موت الأثمة لأنهم أُخِذُوا في إثمهم، أَفَلَا نحتمل الموت لأجل البِرّ. فلا نجزع يا زُملاءنا في الجندية ولا نُوَلِّ الشيطان ظهرًا فارّين من وجهه. هي أجساد فلا تستبقوها. وبما أن لا مفرَّ من الموت فلنَمُتْ لكي نحيا. لتكن ذبيحتنا أمامك يا رب (دانيال ٣/٤٠) واقبلنا كضحيّة حيّة مرضيّة عندك (رومية ١٢/١) ان التقدمة حسنة والمحرقة جديدة مُصلحة بالبرد لا بالنار.»﴾ بهذا الكلام كانوا يستنهضون هممهم ويشحذ الواحد عزيمة الآخر كمثل حرس يُرَجّون الليالي في أوان الحرب صابرين بجلادة على الأذية الحاضرة طربين للأفراح المستقبيلة هازئين بالعدو. وكان للجميع دعاء واحد، وهو هذا: «**يا سيّد، اننا دخلنا إلى الميدان أربعين فَلْنُتَوَّج نحن الأربعين ولا يقلّ عددنا الكريم فانك شرّفته بصومك الأربعيني، وبمثله دَخلت الشريعة إلى العالم. كما ان إيليا التمس الرب، فبعد صوم أربعين يومًا استحق مشاهدته. تلك كانت صلاتهم**».

القديس باسيليوس الكبير

٧– فشل أحدهم ونزول الحارس مكانه

إلَّا أن واحدًا منهم قد غُلِبَ من شدّة العذاب فأخلى موضعه، ومضى تاركًا في نفوس الشهداء غمًا لا تسلية له. غير أن الله تعالى أبى ألَّا تتم صلاة عبيده، فان الجندي الذي فُوِّضت إليه حراسة الشهداء كان قريبًا منهم في محلّ رياضة جسديّة يستدفئ. وكان ينتظر ما سوف يكون، مستعدًا لقبول الذين يلجأون إليه ملقين سلاحهم. لأن الحاكم كان قد فكّر بأن يُجعل بالقرب منهم حمّامٌ لتتهيّأ المساعدة السريعة للذين يرجعون عن عزمهم. هذا ما افتكر به الوالي بخبثٍ عندما اختار ذلك المكان لتعذيب الشهداء. وغايته أن يفلّ ثبات المجاهدين باعداده هناك ما يلزم من أسباب الراحة. فما كان منه إلَّا أن أوضح بأجلى بيان صبرهم العجيب. فانه ليس العزيزُ النفس من صبر وليس في يده شيء، بل من امتنع عن التمتع وهو في فضل من العيش.

وحين كان القديسون يجاهدون كان الحارس يراقب ما سيحدث. فأبصر مشهدًا عجيبًا: ملائكة هابطين من السماء، ومعهم أشياء أشبه بعطايا سنيّة من قبل الملك القدير يوزعونها على أولئك الجنود. ففرّقوا تلك الهبات على جميعهم ما خلا واحدًا تركوه بدون جائزة مُحتسبيه غير أهل لها. وللحال فشل ذلك الجندي الهارب، وذلك البطل المأسور، نعجة المسيح الواقعة ما بين أنياب الذئاب. وأمَّا ما زاد ألمًا فهو أنَّ ذلك المسكين خسر الحياة الأبدية ولم يتنعّم بهذه الحياة لأن جسمه قد انحلّ حال نزوله في حمّام الماء الحارّ، فسقط ذلك المحب الحياة ميتًا، وارتكب الخطيئة بلا جدوى. أما الحارس فلما رأى انه فشل قصد الحمّام وأخذ موضعه، ألقى ثيابه وانضمّ إلى الشهداء صارخًا على مثالهم: «**انّي مسيحيّ**». فأدهشهم بارتداده الفجائي وأكمل عددهم وأزال بانضوائه إليهم الغمّ الذي حلّ بهم بسبب ذلك المسكين، فاعلًا فعل الجنود في ساحة الحرب. فانه كما سقط منهم واحد في الصفوف الأولى بادر غيرُه لأخذِ محلّه وسدّ الثُلمةَ لئلا تدور الدوائر على الجيش بسبب سقوط ذلك الجندي. هكذا فعل هو أيضًا. رأى تلك الآية السماويّة فعرف الحقّ ولجأ إلى السيّد فأُحصي في عِداد الشهداء. وجدَّدَ ما حدث للرسل فان **يهوذا** خرج من بينهم فقام **متياس** مقامه (اعمال ١/١٦). اقتَدِي ببولس الذي كان بالأمس مضطهدًا فأصبح اليوم مبشرًا. ودعوته قد أتته أيضًا من السماء «لا من قبل الناس ولا بإنسان». (غلا ١/١) آمن باسم ربنا يسوع المسيح واعتمد به لا عن يد آخر بل بإيمانه عينه. لا بالماء ولكن بدمه نفسه.

٨– نهاية جهادهم

ولما جاء النهار وفيهم رمَق من الحياة دُفعوا إلى النار وأُلقي رمادهم في النهر لكي تجتمع كل العناصر على استشهادهم. لأنهم كافحوا على الأرض وصبروا على انفعالات الهواء ودفعوا إلى النار وتقبّلت المياه بقاياهم. فيحق لهم أن يهتفوا: «جزنا في النار والماء ثم أخرجتنا إلى الراحة». (مز ٦٥/١٢).

٩– حمايتهم وشفاعتهم القديرة

هؤلاء هم الذين نزلوا بجوارنا فَغَدَوا كأبراج وحصون راسخة يحمون بلدتنا من هموم الأعداء. غير أنهم لم يحصروا ذواتهم في مكان واحد بل حلّوا ضيوفًا في بلاد جمّة فشرّفوا أوطانًا كثيرة العدد. ومن الغريب أنهم لا يأتون إلى من يقبلهم كل واحد بمفرده وبمعزل عن البقية، بل يسيرون كلهم معًا. فيا للعجب كيف لا يقلّون عددًا ولا يكثرون. انك ولو وزعتهم على مئة لما تجاوزوا عددهم، ولو جمعتهم في واحد لبقوا أربعين كما هم. كالنار التي تسري بحرارتها إلى الذي يُضرمها وتبقى كلها في وقودها. كذلك **الشهداء الأربعون**. فكلهم معًا وكلهم مع كل واحد. انه لاحسانٌ فائض، انها لنعمة لا تنفَذُ. ان للمسيحيين نجدة حاضرة في جماعة الشهداء، جيش المظفرين وجوق ممجدي الله.

كم تبذل من المساعي لكي تجد شفيعًا واحدًا يتشفّع فيك لدى الرب. وها هنا أربعون شفيعًا يتضرعون بصوت واحد. قال السيّد له

المجد: «لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (متى ١٨/٢٠) فاذا كانوا أربعين فهل يُشَكّ بحضور الله فيمَا بينهم؟ فليلجأ المغموم إلى **الأربعين** والمسرور فليبادر إليهم. أما الأول فَلْيُنَفِّسَ كُرْبَتَهُ أما الآخر فلكي تحفظ له مسرته. والمرأة التقية فلتستغثْ بهم مصلية من أجل أبنائها أو من أجل رجوع رجُلِها إن كان غائبًا أو سلامته إن كان مريضًا. ولتقترن صلواتكم بصلوات القديسين. الشبّان فليقتدوا بهم، والآباء فليتمنّوا أن يحصلوا على أبناء يحاكونهم. أما الأمهات فليتعلّمن من مثال تلك الأم الصالحة التي رأت أن ابنها لم يزل فيه بقية حياة، خلافًا لأصحابه، وذلك لقوة بنيته وقدرته على الاحتمال ثم رأت الشُرَطَ قد تركوه جانبًا فلعلّه يعدل عن رأيه، حملته هي على ذراعيها ووضعته على العجلة حيث طُرح الآخرون ليُؤْخَذُوا إلى الحريق.

حقًا انَّها لأم شهيد. فانها لم تذرف دمعة في غير وقتها، ولم تتلفّظ بكلمة لا تطابق الحال بل قالت: «سرْ يا بنيّ سيرك الحسن مع أترابك وقرنائك. ولا تتخلّف عنهم ولا تظهر أمام السيِّد بعدهم.» فيا له من فرعٍ كريمٍ لأصلٍ كريمٍ. فقد أظهرت تلك الأم الشجاعة أنَّها قد غذَّته بتعاليم التقوى أكثر مما غذّته بلبنها. كذا ربّته وكذا ودّعته تلك الأم التقيّة. أما **الشيطان** فارتدّ خَجِلًا لأنه أثار عليهم كل الطبيعة فرأى أن شجاعة هؤلاء الأبطال قد استظهرت عليها وتغلّبت على الليل الرائع والبرد القارس وفصل السنة وتعرّي الأجسام.

خاتمة الخطاب

فيا أيُّها الجوق المقدس والطغمة الطاهرة والجيش الذي لا يُخترق. أيُّها الحرّاس العامّون الساهرون على جنس البشر والمعاونون، الجميع في مهامتهم، والمشاركون لهم في الصلاة. أيها الشُّفعاء المقتدرون، نجوم المسكونة وأزهار الكنائس. ان الأرض لم تَخِفْكُم ولكن السماء تقبّلتكم ففتحت لكم أبواب الفردوس. أجَلْ لقد كان مشهدًا جميلًا جنود الملائكة لائقًا بالآباء والأنبياء والصديقين. ان رجالًا في مقتبل العمر يحتقرون الحياة ويحبّون الله فوق والديهم وأبنائهم، وفي هذا العمر الذي كله آمال في الحياة يزدرون ويستهينون بالحياة الحاضرة لكي يمجّدوا الله في أعضائهم. ولما صاروا مشهدًا للملائكة والبشر (١ كور ٤/٩) أقاموا الساقطين وثبّتوا المُضَعْضَعِين وضاعفوا عناية وهمّة الأتقياء. وإذ أقاموا جميعًا للدين نُصُبَ انتصار كُلِّلوا باكليل العدل الواحد بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد والعزّة إلى دهر الدهور آمين...

الاتضاع هو المذبح الذهبي وموضع الذبيحة الروحي لأن الروح المنسحق ذبيحة الله؛ الاتضاع هو والد الحكمة، ان كان لانسان هذه الفضيلة تكون له بقية الفضائل. **القديس يوحنا ذهبى الفم**

الله وحده ثابت

للقديس غريغوريوس النزينزي

لا شيء في أمور البشر ثابت بطبعه، لا شيء ناجٍ من صدمة يصطدمها، لا شيء مُكتفٍ بذاته، ولا شيء باقٍ على حاله، أمورنا البشرية دولاب يدور ويتغيّر دورانه مرةً بعد مرة في النهار وأحيانًا في ساعة واحدة.

فالزوابع المتقلّبة، وأثر السفينة في البحر، وأحلام الليل الكاذبة التي تخلُبُنا لحظة، وما يخطُّه الأطفال في ألعابهم على الرمال، أحقُّ بالثقة من السعادة البشرية... لأنَّ كل ما على الأرض فانٍ وعابرٌ... أشبه بحجارة اللعب تدور من جهة إلى أخرى، وتنتقل من يد رجل إلى يد آخر بخلاف ما وراء هذه الحياة من الأشياء، فانها ثابتة دائمة لا تبتعد أبدًا ولا تتغيّر، ولا تخيب آمال من جعلوا رجاءهم فيها. فاذا كانت جميع الأشياء الأرضية زائلة، وإذا كان الكلمة، الفنان الإلهي، والحكمة التي تفوق كل عقل، قد حكم فيمَا حكم بأنَّا نُسيءُ استعمالها، فصار علينا أن نزهد فيمَا يزول ونندفع نحو الحياة الباقية، فماكُنا نصنع لو كان النعيم مضمونًا لنا في هذه الحياة فنحن مع ما نرى من سرعة زواله لا نبرح متعلّقين به، ومستعبَدين لما تقدّمه لنا من اللذة الخادعة؟ لذلك لا نستطيع أن نتصوَّر شيئًا أفضل وأرفع من الأمور الحاضرة، على حين أننا نعلم علمًا أكيدًا أننا خُلِقنا على صورة الله وهي تجذبنا إلى فوق.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل العاشر

«قد خضعتني يا رب فانخدعت. الححت عليّ فغُلبت. صرت ضحكة كلّ النهار فكل واحد يستهزىء بي» (ار ٢٠: ٧)».

«فأجاب وقال لهم إنّ إيليا يأتي أولًا ويردّ كل شيء، وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان ان يتألّم كثيرًا ويرذَل» (مر ٩: ١٢)».

في خيوس تدبرت كل الأمور تدريجيًا نحو الأفضل. فبعد سيامته بأيام، وبعد صلاة الغروب، أرسل المتروبوليت غريغوريوس في طلبه. كان غريغوريوس شيخًا طيّب القلب، واستاذًا في النُسك. وقد جلس إلى جانبه رجل ضاحك الوجه، متوسط العمر، ذو لحية صغيرة غزاها الشيب، أنيق الملبس، ويضع فوق سترته ساعة ذهبيّة.

فقال المتروبوليت:-

– «نكتاريوس، أُقَدِّم لك السيد جان، من نبلاء القوم. انه مُحسِنٌ عظيم، وابنٌ محبوبٌ لكنيستنا: السيّد جان خوريميس».

وبطبيعة الحال، كان نكتاريوس يعرف الرجل، فقد سمع عنه الكثير، وقابله مرتين أو ثلاثًا في بعض الأعياد الليتورجية الكبيرة، فصنع له مطانية. وقال المتروبوليت:

– «اقترب يا نكتاريوس، اقترب. انه يودّ التعرّف إليك وسماع قصة حياتك منك أنت. اعتقد أن بإمكانك الوثوق به تمامًا، ودون خوف».

فشعر نكتاريوس بالخجل، واحمرّ وجهه قليلًا. وجلس بقرب الوجيه الذي بدأ يطرح عليه بعض الأسئلة بصوتٍ عذبٍ وبطيء: أين وُلد؟ وكيف كانت بدايته في الحياة؟ وكيف وصل إلى جزيرتهم؟ ثم قال له:

–« لقد علمتُ أنك تتفوّق في الحياة النسكية والصلاة والثقافة العامة».

واحمرّ وجه نكتاريوس أكثر فأكثر، وقال:

– «أشكرك، أشكرك».

ثمَّ استجمع قواه وبدأ يروي له قصة رحيله من سيليفريا مشفوعًا بتمنيات أمّه، وحاملًا معه صرّته الصغيرة وفقره ...

– «وقد شاء الله يا سيّدي أن يتعطّل محرّك السفينة، وأن تعجز عن الإنطلاق. فأشفَقَ عليَّ القبطان وسمح لي بالصعود. لكني فيما بعد، وعند التدقيق في التذاكر، وجدتُ نفسي من جديد في موقفٍ حَرِج: إذ كان القبطان قد انسحب إلى غرفته ليستريح، ولم يكن المدقّق يعرف القصة ... فكان يأمرني بدفع ثمن تذكرة السفر. وكنتُ أقول له بأنّي لا أملك المال ... لكن هنا أيضًا لم يتخلَّ الربّ عنّي، بل أرسلَ اليّ شابًا فاضِلًا، طويل القامة، وبعدما سمع قصتي سارعَ إلى دفع ثمن تذكرتي ... لكن، ماذا يحصل لكَ يا سيّدي؟ ولماذا تبكي؟ ».

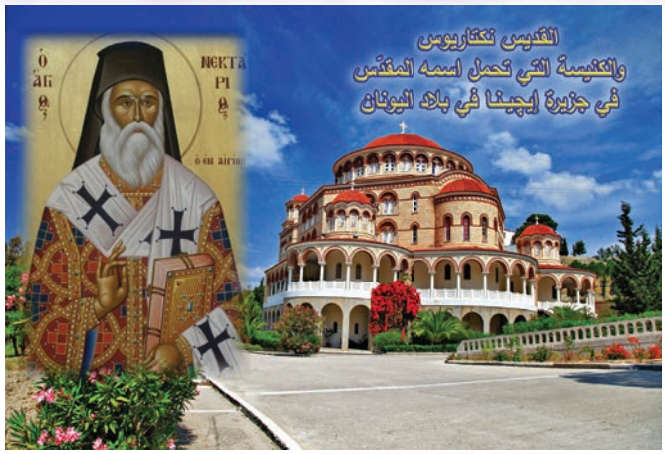

كان خوريميس يغطّي وجهه بيديه ويتابع بكاءه. فاستولى القلق على غريغوريوس الذي نهض واقترب منه. وبعد لحظات صرخ خوريميس:

– «يا ولدي، لماذا لم ألتَقِ بكَ قبل الآن؟ أية مصادفة هذه! أهُوَ أنت الولد الصغير الذي رحَل وحده من سيليفريا حتى يعمل ويدرّس؟ إن الرجل الذي تتكلّم عنه هو ابن أختي، وقد أخبرني بالقصة فتأثّرتُ كثيرًا. ومنذ ذلك الوقت وأنا أبحث عنك. ليتمجّد الرب! إلى الأمام إذن! أُطلب من قداسة المطران الإذن والبَرَكة وسافر بسرعة إلى أثينا لمتابعة دروسك. وسوف أُغَطّي بنفسي حاجاتك كلّها».

يا الله، كيف يجد الكلمات للتعبير عن الامتنان الذي يملأ قلبه؟

ووجد نكتاريوس نفسه من جديد على متن باخرة تشقّ بحر ايجة. دائمًا إلى مكان أبعَد ... وتسَنَّى له اكتشاف العاصمة: مدينة الفلاسفة التي أصبحت بعد قرون من التاريخ مجرّد قرية كبيرة، أو نواة مدينة.

ونزل مرفأ البيرية وقد سيطر عليه الحماس لفكرة متابعة دروسه. وكلما ازداد حماسه اتسعت الإمكانيات! كان كل شيء يسير نحو الأفضل. فمنذ نزوله في المرفأ وحماية خوريميس تتبعه أينما حلّ، كالملاك الحارس. منذ خمسة عشر قرنًا وصَلَ إلى هنا **باسيليوس وغريغوريوس** لمتابعة علومهما في الأكاديميّة المجيدة. كان يقفز من الفرح! لم تكن كل الأمور رائعة في المدينة، إلّا أن وجوده فيها كان من دون شك نعمة إلهيّة.

كانت أثينا له المدرسة الثانوية والدراسة والقداس الإلهي وحسب. ولم يكُن يشعر بمرور الوقت. ولم ينتبه مرة إلى الشوارع الضّاجة بالحركة، ولا إلى القصر الملكي والسيارات والمقاهي والصحافيين والنوّاب ...

ومرّت السنوات: فاكتسب بعض العلاقات في الأوساط الأكليريكية، والتقَى بعدد قليلٍ جدًّا من الناس. وأمضَى عطلاته الصيفية في خيوس ثم حصل على شهادته. وكان السيد خوريميس في غاية الرضا عن نتائجه. فأرسله إلى الإسكندرية ليقدّمه إلى البطريرك الذي كان من أصدقائه. واستقل نكتاريوس الباخرة من جديد. دائمًا إلى مكان أبعَد ... نحو أراضي الجنوب!

ماذا سوف يحدث في ذلك اليوم ؟

١) يخبرنا الكتاب المُقدَّس أنّ الرب سوف يأتي ثانية: «جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. ...» (مت ٢٤: ٣٠-٣١).

٢) عند مجيء الربّ سوف يقوم الأموات: «لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ.. لمُلاَقَاةِ الربّ ..» (١تسا ٤: ١٦و١٧).

٣) ثمَّ يؤسِّس الربّ سماءً جديدة وأرضًا جديدة يسود فيها ملكوت الله. لن يكون هناك حرب ولا شهوة ولا كراهية ولا حُزن ولا ألم ولا نزاع ولا موت: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رؤ ٢١: ٣-٤).

٤) وعند مجيء الرب سوف تكون الدينونة. يكتُب القديس بولس ويقول: «عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارِ لَهِيبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ متى جاء ليتمجّد في قديسيه، ويُتَعَجَّب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم قد صُدِّقَت في ذلك اليوم» (٢ تس ١: ٧-١٠).

يكتب الأسقف تيموثي وير في كتابه: «الكنيسة الأرثوذكسيّة» فيقول: «إنّ موقف الأرثوذكسيّة تجاه الدينونة الأخيرة والجحيم تُعبِّر عن الكنيسة جيِّدًا في اختيارها للأناجيل التي تُقرأ في الخدمة في الثلاثة آحاد المُتتالية التي تسبق الصوم الكبير. ففي الأحد الأوّل يُقرأ مَثَل الفرِّيسي والعشَّار، وفي الأحد الثاني يُقرأ مثَل الابن الضَّال. هذان المثلان يُبيِّنان الغُفران الهائل ورحمة الله نحو الخطأة التائبين. أمَّا في إنجيل الأحد الثالث فيُقرأ مَثَل الخراف والجداء. هنا تُذكِّرنا الكنيسة بالحقيقة الأُخرى، إنَّه من الممكن أن نرفض الله وأن نتحوَّل عنه، ولكن إلى الجحيم».

الدينونة تعني أننا سوف نكون أمام الله يومًا كما نحن عليه بالضَّبط، كما نُزِعَت عنَّا كل الأقنعة والأشكال الخارجية والمظاهر. هذا تمامًا ما حدثَ مع بطرس بعد أن أنكر المسيح، رأى يسوع، نَظَرَ إليه يسوع. ولم يستطع بطرس أن يواجه الربّ ولا أن يُقابل النظرة. إنّه أُدين، كُشِفَ على ما هو عليه، كانت هذه النظرة هي التي ساعَدَت بطرس أن يتحقّق من عِظَمِ خطيئته التي ارتكبها، وهي التي قادته إلى التوبة ومن ثمَّ إلى الغفران.

لنا حقّ أن نتمتّع برحمة الهنا، لا توجد خطيئة مستحيلة الغفران ما دام الإنسان يتوب عنها، أمَّا الخطيئة التي لا نتوب عنها فلا يوجد لها غفران. ليس لأن الله يرفض أن يغفر، ولكن لأن الإنسان يُظهر بعدم توبته أنّه لا يريد غُفرانًا. سوف نتمنَّى أن نُعطَى فرصة أُخرى بعد الموت، ولكن الله يُعطي فرصة أُخرى بل آلافًا من الفُرَص في هذه الحياة فقط. الله صار إنسانًا في شخص يسوع، مات على الصليب ليغفر لنا، قام من الأموات ليلاشي الموت عنَّا ولأجلنا، غفَر للِّص التائب للتوّ ليُبيِّن لنا كم يعطينا من فُرَصٍ ثانية وثالثة ومتوالية للتوبة. إنَّها رغبته: «**خلاصنا**». إنّه يستمر يشفع في كل واحد منَّا شخصيًّا بالرّوح القُدس من خلال صوت الضمير. إنَّه يمنحنا حُبّه ورحمته باستمرار من خلال الكنيسة والكتاب المقدّس، ولكن الله لا يستطيع أن: «يدفعنا بعنف» لحُبِّه، وإلَّا لَمَا صارت محبَّتنا له محبَّة حقيقيَّة. جزء من معنَى حريّة الإنسان أن تُعطينا الامتياز المُرعب أن نقول للربّ: «**لا**» وأن نرفض محبَّته.

الخراف والجداء:

يقول يسوع إنَّ الله سوف يفصل في اليوم الأخير «**الخراف**» عن «**الجداء**». يجب ألَّا تفوتنا الحقيقة المُخبَّأة في هذا المثل. نحن نعلم أنّ الخراف تتبع الراعي برغبة واشتياق، بينما الجداء تتبعه بدَفعٍ شديد من جهة الراعي. إنَّها تُريد أن تمضي بعيدًا بحسب هواها الخاص، وتجول في كل اتجاه. الراعي عندما يدعو الخراف فإنَّها تعرف صوته وتستجيب له للتوّ، أمَّا الجداء فليست هكذا، إنَّ أساس الدينونة الأخيرة سوف يكون مبنيًّا على رغبتنا أن نكون مثل الخراف في طاعة **دعوة الراعي الصالح**.

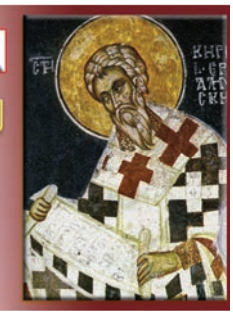

العظات التماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمن ظهرت يدُ الربّ؟ ... كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزّه هكذا فتح فاه. في ذلّه أُنكر عليه حقّه. تُرى من يصف ذريته؟ لأنّ حياته أُزيلت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣: ١-٨).

٣٦- الافتخار بعلامة الصليب:

فلا نخجل، إذن، من الاعتراف بالمصلوب، ولنرسم علامة الصليب بأصابعنا بصراحة على جباهنا وعلى كل شيء: على الخبز الذي نأكله، وعلى الكأس التي نشربها، وفي دخولنا وخروجنا، عندما نرقد وعندما نستيقظ، سواء كنّا نسير في الطريق أو نستريح. إنّها أداة قويّة فعّالة من الأذى، مجّانية للفقراء وغير مُتعِبة للمرضى، بما أنها نعمة من عند الله. إنها علامة للمؤمنين وهلع للشياطين، لأنّه جرّدهم من سلطانهم وشهّرهم، إذ سيّرهم في موكبه الظافر (كولوسي ٢: ١٥). إنّهم عندما يَرَوْنَ الصليب يتذكّرون بالمصلوب، فيرتعدون من ذاك الذي سحق رؤوس التنانين (مز ٧٣: ١٤). لا تحتقر هذه العلامة لأنّها مجانيّة.

٣٧- كيف يردّ المسيحي على أعداء الصليب:

وإذا تناقشتَ يومًا ولم تجِد الحجج الإيضاحية الحاسمة، فليَبقَ إيمانك ثابتًا. ولكن بالأحرى بما أنّك أصبحتَ عالمًا، فَسُدَّ أفواه اليهود بفضل الأنبياء وأفواه اليونانيين بأساطيرهم الخاصة. إنّهم يعبدون الصاعقة التي تسقط بطريق الصدفة. فإن كان هؤلاء لا يخجلون من عبادة كائنات مصعوقة يكرهها الله. فهل تخجل من عبادة ابن الله، هذا الذي صُلِبَ من لأجلك؟ إنّي أخجل من التحدّث عما يسمونهم آلهتهم؛ إنّي أتركهم نظرًا لضيق الوقت. فليتحدث عنهم الذين يعرفون، ولتُسد أفواه الهراطقة. وإن قال أحد إنّ الصليب لم يكن إلّا صورة ظاهريّة، فأعرِض عنه، واحتقر الذين يقولون إنّه صُلِبَ ظاهريًّا. لأنه اذا صُلِبَ في الظاهر، فإنّ الخلاص لم يكن إلّا ظاهريًّا، بما انه يأتي من الصليب. ولو كان الصليب خياليًا لكانت القيامة كذلك. وإن كان المسيح لم يَقُم، فنحنُ ما زلنا بعدُ في خطايانا (١كور١٥: ١٧). وإن كان الصليب خياليًا، يكون الصعود خياليًا، ومجيئه الثاني كذلك. وهكذا يصبح كُل شيء بلا أساس.

٣٨- الصليب أساس الايمان الراسخ:

وعليه اتَّخِذ من الصليب أساسًا لا يتزعزع، وابنِ عليه بقية الإيمان. لا تُنكِر المصلوب، لأنّك لو أنكرته لأَثبَتَتْ عليك أمورٌ كثيرة ضلالَكَ: أولًا يهوذا الخائن، لأنه عرف أن الشيوخ ورؤساء الكهنة حكموا عليه بالموت (متى ٢٧: ٣)، والثلاثون من الفضة، وجتسيماني حيث تمت الخيانة. هذا ، وأنا لا أتحدّث عن جبل الزيتون حيث كان الرسل يصلّون في تلك الليلة. قمر تلك الليلة يشهد ضدّك، والنهار والشمس التي أظلمت، لأنها لم تستطع أن ترى جَوْرَ المتآمرين. النار التي كان بطرس يصطلي بقربها سَتثبت ضلالك، أن أنكرتَ الصليب فلكَ النار الأبديّة. إنّي أتكلّم بقسوة لكي لا تَلقَى عقوبات قاسية. أُذكر سكاكين جتسماني التي رُفِعَت عليه، لكي لا تنال منك سيوف الأبديّة. سيفحمك منزل قيافا الذي يدلّ بعزلته الحالية على قوّة الذي حوكم عندئذ. سيقف ضدك قيافًا نفسه في يوم الدينونة، وخادمهُ الذي صَفَعَ يسوع، والذين أوثقوه، والذين قادوه. سيقف ضدك هيرودس وبيلاطس ليقولا لكَ: كيف تُنكر هذا الذي اتّهمه اليهود زورًا وكُنَّا نعرف أنه بريء؟ لأنّي أنا بيلاطس قد غسلتُ يديّ عندئذٍ. سيقف ضدك شهود الزور، والجنود الذين ألبسوه الأرجوان، ووضعوا إكليل الشوك على رأسه. وهؤلاء الذين صلبوه على الجلجلة واقترعوا على ردائه. سيفحمك سمعان القيرواني الذي حمل الصليب خلف يسوع.

العهد القديم في الكتاب المقدس (٩٨)

(ب) حُكم المكابيين (الحشمونيين)

اسم المكابيين الحقيقي هو الحسمونيون (الحشمونيون) وهي كلمة عبرية نسبة إلى حسمون من أبناء الجد الأكبر يهويارب (١أخ٢٤: ٧)، أما إسم مكابيين فهو لقب يهوذا المكابي والذي صار اسمًا للأسرة، ثم انتقل للحرب فيما بعد، وقد بدأت ثورة المكابيين في عام ١٦٧ ق.م. حيث فجّرت عوامل الضغط من حكام سوريا صرخات الغضب بين اليهود حتى قاد حركة المقاومة القتالية أسرة كاهن غيور من النسل المبارك والدم الكهنوتي والأصل الشريف، وانتهت بالنصر وحكمت الأسرة الحسمونية في الفترة ما بين سنة ١٤٢ ق.م. إلى ٦٣ ق.م. ، وامتدت مملكة المكابيين وفرضت سلطانها حتى أصبحت ولاية تابعة لروما، وقد تتابعت الأحداث كما يلي:

(البقية في العدد القادم)